محاورة غير المسلمين في القرآن الكريم
(حججها وآدابها)

د. محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة والأديان ـ المشارك
بجامعتي الأزهر بالقاهرة.
وجامعة الملك فيصل – كلية الآداب بالإحساء
وعضو جمعية العقيدة والأديان بالجامعة الإسلامية

ملخص البحث

من ضوابط وملامح محاورة غير المسلمين في القرآن الكريم الإثبات بالحجة ولزوم الأدب ، وهذا يستدعي فينا الالتزام بأسلوب القرآن في هذا النوع الدقيق ــ وغيره ــ من المحاورة التزاما صحيحًا، وفهمًا سليمًا، وضبطا واعيًا، ودعوةً حكيمةً، لتكون إدارته أقرب إلىٰ مراد الله تعالىٰ منه ، فإنَّ العقيدة الإسلامية أحوج ما تكون لهذه المحاورة بهذا الاعتبار.

فالعقيدة كانت ـ ولا تزال ـ هدف الأعداء بالتشويه والتشكيك ، وذلك لإقصائها عن موقع الصدارة والقيادة والتفعيل في جسد الأُمَّة الكبير، كما كانت ـ أيضًا ـ فريسة لعبث بعض القائمين علىٰ الحوار مع الآخر ، حيث علقوا بها كثيرا من المفاهيم الخاطئة والتفسيرات الغريبة علىٰ طبيعتها، والمخالفة لفطرتها، وذلك في سبيل الدفاع عنها في مادة هذه المحاورة، إنهم أرادوا الذود عن حياضها ، لكن بلغة الخصوم المستوردة وأساليبهم الغثة ؛ منصرفين عن لغة وأسلوب القرآن الكريم في المحاورة ؛ حتىٰ أضحت المحاورة في بعض الأحيان لا تتجاوز كونها سفسطة وجدل عقيم ومراء عليل سقيم ، يزيد من حدة الخصومة واللداد ، ويفتقد الحجة والدليل والبرهان ، ويتجرد من الأدب ، ويتحول إلىٰ هلكة نتيجة تعصب لفكرة ، أو غضبة لرأي ، بخلاف الحوار القرآني الذي يناسب جميع العقول والأفهام؛ الحاضر منهم والبادي، الكبير والصغير، المتعلِّم والعامِّي.، وغير هؤلاء من جملة الخلق .

ومن هنا أردنا أن نضع أيدينا من جديد علىٰ ملامح محاورة غير المسلمين في القرآن ، تلك المحاورة التي تبعث الاطئمنان القلبي، والاستقرار الفكري، والتفاعُل السُّلوكي، بل وتقضي علىٰ الشك والتردُّد الذي سجله الجدل والنقاش الذي يعتمد علىٰ افتراضات يتصوَّرها العقل المجرد بعيدا عن هدي الوحي ، وهي لا تمثل إلا أجوبة واعتراضات، وأجوبة علىٰ تلك الاعتراضات، واعتراضات علىٰ تلك الأجوبة وأجوبتها، وهكذا إلىٰ ما لا نهاية.

الكلمات المفتاحية: حوار – غير المسلمين – السلم الفكري – الأمن – القرآن – الحجة – الآدب.

* * *

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتنزه عن الشريك والولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسىٰ الحوار مع المخالف وأعلنه، وروض الجامح وأبلغه مأمنه، صلاة وسلامًا عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإنه مما لا شك فيه أن لفظة"المحاورة"من الاصطلاحات المترددة كثيرا في الآونة الأخيرة في ظل الأمواج المتلاطمة من الفتن المظلمة المتمثلة في الحروب الداخلية والخارجية، والمنازعات الإقليمية والطائفية، والمحاورة بالتي هي أحسن هي الأصل الذي تفرّع منه معنىٰ التعايش مع الآخر؛ أي قبول من يخالف في المذهب، والدين، والعرق، واللون، بل أصبحت ضرورة تحتاج إليها البشرية الآن لتسيير معاملاتها، وتسهيل ديمومة علاقاتها.

وتبدو الحجة وروح الحسن ومعانيه عالية في الكينونة الإسلامية حيث القرآن الكريم وأخلاق النبي ﷺ، الذي أثبت للعالم أن منهج الله في تحقيق الأمن والتعايش السلمي بين الإنسانية هو أسمىٰ الحضارات، وقد شهد بهذا الأعداء قبل الأصدقاء، يقول"شبرل"عميد كلية الحقوق بجامعة"فيينا"، في مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧:

"إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنـًا؛ أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون؛ لو وصلنا إلىٰ قمته بعد ألفي سنة".

وقد سخر الله تعالىٰ بحكاية تسامح الحوار النبوي في القرآن عامة وتسامح حوار النبي ﷺ خاصة قلوب الناس له، حتىٰ زج فيها عناصر الأخلاق واحدا تلو الآخر، ومن يلج مسير التاريخ يدهش في وقائعه وهو يستقرئ بين دفتيه كثيرا من هذه المشاهد التي حطت ركاب القلوب عند باب طاعة النبي ﷺ مستسلمة ومذعنة لأمر ربها، ويبهر القارئ حين يستقرئ التاريخ ويمر علىٰ منهج القرآن في حواره العقدي مع غير المسلم وعلو أدبه الذي تمثل في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ

إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[١] وقولـــــه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾[٢]، فمـزق بنـور تلـك الفضـيلة المتسـامحة الظلمات، وجلا بروح الإسلام غياهب الضلالات.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتنـاول الدراسـة موضـوع حجـج القـرآن الدامغـة وآدابـه في محـاورة غيـر المسلمين، وهي محاولة من الباحث للكشف عن أهم الدلالات التقويمية لضرورة لزوم الحجة وأدب المحاورة علىٰ نهج كتاب الله العظيم، وبيان أهمية تلك الحجج والوقوف علىٰ القيم الأخلاقية التي ترتكز عليها المحاورة في القرآن الكريم، ثم ربط هذه القواعد النظرية في منظومة الحوار العقدي القرآني بالواقع والتطبيق من خلال التأسي بالأخلاق النبوية للمحاورة الدعوية المثمرة في منهج رسل الله عليهم السلام، وتحدد مشكلة الدراسة بـ"محاورة غير المسلمين في القرآن الكريم..حججها وآدابها"من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ـ ما المقصود بالمحاورة ؟

ـ ما هي أبرز الحجج التي ارتكز عليها الحوار مع غير المسلمين في القرآن الكريم ؟.

ـ ما هي أهم الآداب والقيم التي امتزجت بمحاورة غير المسلمين في القرآن الكريم، وما مدىٰ إمكان تطبيقها في محاوراتنا في ظل التحديات المعاصرة ؟.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلىٰ تحقيق المقاصد التالية:

ـ استنتاج أهم الدلائل والحجج في محاورة غير المسلمين في القرآن الكريم والاستفادة منها في محاوراتنا المعاصرة.

ـ تتبع أهم القيم والآداب الحوارية من خلال توجيهات القرآن الكريم.

---

(١) سورة العنكبوت: من الآية ٤٦.

(٢) سورة يونس: آية ٩٩.

ـ الوقوف علىٰ أهم التطبيقات العملية لأدب المحاورة وحججها في منهج النبي صلىٰ الله عليه وسلم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

حدود الدراسة:

ستقتصر الدراسة علىٰ دراسة حجج وآداب المحاورة في القرآن الكريم مع غير المسلمين والاستفادة منها في معالجة الانحرافات العقدية، وذلك في ضوء المحاورات النبوية التي جرت بين الأنبياء عليهم السلام وبين أقوامهم، وبين النبي صلىٰ الله عليه وسلم ومشركي مكة وأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ.

منهجية الدراسة:

بما أن هذه الدراسة تتناول حجج وأدب امحاورة غير المسلمين في القرآن، فإن المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج المناسب لهذه الدراسة، حيث سيقوم الباحث بوصف وتحليل أهم الآداب التي تتواءم مع منهج الإسلام وتوجيهاته في محاورة أهل الزيغ والضلال من المشركين وأهل الكتاب وأنساقهم لفهم أهم الآثار العلاجية والإصلاحية المترتبة علىٰ تلك الآداب.

إجراءات الدراسة:

اتبعت الدراسة عدة إجراءات من أهمها ما يلي:

– تحديد مصادر الدراسة المتمثلة بالمراجع الأولية والثانوية.

– استنباط مفهوم الحوار من المصادر المتخصصة.

– استخلاص أهم حجج وآداب محاورة غير المسلمين من خلال القرآن الكريم.

ـ إيراد بعض التطبيقات النبوية لحجج وآداب المحاورة في القرآن.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات العلمية حول موضوع الحوار بشكل عام، ولعل إضافة الباحث تكمن في بيان محاورة غير المسلمين بالذات في القرآن الكريم، وليس علىٰ إطلاقها، وذلك لتأصيل منهجية الحوار مع غير المسلمين علىٰ نفس نهج القرآن الكريم، ورغم تناول بعض الدراسات لبعض جوانب الحوار مع غير المسلمين من

خلال القرآن الكريم، إلا أن كل دراسة قرآنية تضيف جديداً، فالقرآن مليء بالتوجيهات والتعاليم التي لا تنتهي عند حد، ولا تحصىٰ بعدّ، وكان من بين هذه الدراسات علىٰ سبيل المثال وليس الحصر ما يأتي:

١. دراسة أحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، (ط. دار الشروق، القاهرة ١٩٨٨م).

٢. دراسة تيسير محجوب الفتياني، الحوار في السنة (منشورات مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن،١٩٩٩م).

٣. دراسة رقية طه جابر العلواني، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، (نشر مؤسسة جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، المدينة المنورة ط. أولىٰ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).

٤. ومنها دراسة محسن بن محمد بن عبد الناظر، حوار الرسول ﷺ مع اليهود: (ط. دار الدعوة، الكويت، ط. أولىٰ، سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م).

٥. دراسة محمود محمد عمارة، من أجل حوار لا يفسد للود قضية، (ط. مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٦. دراسة سعد بن ناصر الشتري، أدب *الحوار*،ط. كنوز إشبيليا؛ سنة النشر: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦م.

٧. دراسة عمر عبد الله كامل، أدب الحوار وقواعد الاختلاف، وهو بحث مقدم في مؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب، في جامعة الإمام محمد بن سعود.

٨. دراسة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام ، طبعة دار نهضة مصر سنة ١٩٩٧م.

٩. الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك، ط١، دار قتيبة، ١٤١٨هـ.

١٠. الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن حميد، ط. دار المنارة.

١١. دراسة روجيه غارودي، بعنوان: من أجل حوار بين الحضارات، صدر في فرنسا عام ١٩٧٧ وتم تعريبه عام ١٩٧ م من قبل عادل العوات،، ط. دار عويدات ببيروت.

خطة البحث:

تتكون الدراسة التي صدرها الباحث بعنوان (محاورة غير المسلمين في القرآن الكريم حججها وآدابها)، من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

التمهيد، وفيه تحديد المفاهيم.

المبحث الأول: الحجة في محاورة غير المسلمين في القرآن.

المبحث الثاني: أدب محاورة غير المسلمين في القرآن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

ولا يزعم الباحث أن هذا البحث يحوىٰ بين دفتيه كل عناصر القضية، ولكنه جهد المقل، وعلىٰ الله قصد السبيل.

والله ولي التوفيق والسداد

❊ ❊ ❊

التمهيد

تحديد المفاهيم:

من مقتضيات البحث العلمي تحديد مفاهيم مصطلحات عنوانه التي يعتمد عليها، وهذا ما التزم به الباحث فيما يأتي:

مفهوم المحاورة:

من الحوار: ومعنىٰ الحوار: جاء في معجم مقاييس اللغة:"الحاء والواو والراء ثلاثة أصول أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً.. فأما الأول فالحَوَر: شدة بياض العين في شدة سوادها.. ويُقال: حوّرتُ الثياب أي بيضتها... ويقال لأصحاب عيسىٰ عليه السلام حواريون لأنهم كانوا يحوّرون الثياب أي يبيضونها، هذا هو الأصل ثم قيل لكل ناصر حَوَاري.. وأما الرجوع فيقال: حار إذا رجع، قال الله تعالىٰ:﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ [(١)]، والعرب تقول: الباطل في حور، أي رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حَوْر.. وتقول: كلمته فما رجع إليّ حِواراً وحَوَاراً ومَحْوَرة وحَوِيراً.. والأصل الثالث: المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة"[(٢)].

وفي المحيط"الحَوْرُ: الرُّجُوْعُ إلىٰ الشَّيْءِ وعنه. وحارَتِ الغُصَّةُ تَحُوْرُ: انْحَدَرَتْ، وأحارَها صاحِبُها. وكُلُّ شَيْءٍ يَتَغَيَّر من حالٍ إلىٰ حالٍ: فقد حارَ، والمُحَاوَرَةُ: مُرَاجَعَةُ الكَلامِ، حاوَرْتُ فلاناً، وأحَرْتُ إليه جَوَاباً، والمَحُوْرُ: مَرْجُوْعُ الجَوابِ، وما أحَارَ بكلمةٍ. والحَوِيْرُ: المُحَاوَرَةُ، وكذلك الحِوَارُ والحِوَرُ والمَحُوْرَةُ أيضاً"[(٣)].

واستعمل لفظ المحاورة عند عرب الجاهلية بمعناه المعروف اليوم، وقد ورد

---

(١) سورة الانشقاق: آية ١٤.

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، مادة حور، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (ط دار الفكر – بيروت ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) صـ ٢٨٧-٢٨٨.

(٣) أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (ط. عالم الكتب – بيروت ـ لبنان – ١٤١٤هـ-١٩٩٤ م) جـ ٣، صـ ٢٠٠.

في معلقة عنترة قوله عن فرسه:

فازورّ من وقع القَنا بلَبَانه وشكا إليَّ بعَبرةٍ وتحمحُمِ

لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكىٰ ولكان لو علم الكلامَ مكلّمي[1].

وفي لسان العرب:"الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلىٰ الشيء، حار إلىٰ الشيء وعنه حَوْراً ومَحَاراً ومَحارَة وحؤوراً: رجع عنه وإليه"[2].

وقال الفراهيدي: الحور"الرُّجوعُ إلىٰ الشّيءِ وعَنْه والغُصّةُ إذا انحدرتْ يقال حارت تَحُور وأَحَارَ صاحبها وكلُّ شيءٍ تَغَيَّر من حالٍ إلىٰ حال فقد حار يَحُور حَوْراً"[3].

وفي تاج العروس:الحَوْرُ: الرُّجُوعُ عَن الشَّيْءِ وإِلَىٰ الشَّيْءِ، والحَوْرُ: النُّقْصَانُ بعد الزِّيَادة، لأَنَّه رُجُوعٌ مِنْ حَالٍ إِلىٰ حال، والحَوْرُ: ما تَحْتَ الكَوْرِ من العِمَامَة، يقال: حارَ بعد ما كَارَ، لأَنّه رُجوع عن تَكْويرِهَا"[4].

وقد اقتضىٰ الحوار العقدي القرآني عدم الإكراه، فهو يعتمد علىٰ الإقناع وخطاب العقل، وأن لا يكره أحد علىٰ اعتقاد ما لا يقتنع به، وأن لا يُحمل السلاح علىٰ معارض أو مخالف إلا في ظروف معينة وحالات مخصوصة، والحوار العقدي القرآني وسيلة مثلىٰ من وسائل الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وقد انبثق عن نهج القرآن في الحوار صورا أخرىٰ من الحوار، كفن التفاوض وإقامة العلاقات وإدارة المحاورات.

---

(1) أبو عبد الله الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، معلقة عنترة بن شداد، (ط. مكتبة المعارف – بيروت ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م) صـ١٢٩.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، مادة حور (ط.دار صادر، بيروت، لبنان د، ت) جـ٤، صـ٢١٧.

(3) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق:مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي (ط. دار ومكتبة الهلال، د. ت) جـ٣، صـ٢٧٨.

(4) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ط. دار الهداية، د.ت) جـ١١، صـ٩٦ ـ ٩٧.

غير المسلمين:

المراد بهم كل من لم يعتقد بما جاء به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من التشريعات والغيبيات والعقائد، ويشمل المشركين والملحدين والمرتدين واليهود والنصارىٰ وغيرهم.

"حججها"، التعريف بالحجة:

من خلال مراجعة أصول المادة اللغوية لكلمة"حجة"نصل إلىٰ أن أصل الكلمة يرجع إلىٰ"حج"أي"قصد"وقد تفرع من هذا الأصل فروعٌ متنوعة تمت إلىٰ هذا الأصل اللغوي، ففي المصباح المنير:"فَالحَجُّ"القصد للنسك، و"الحُجَّةُ" الدليل والبرهان والجمع"حُجَجٌ" مثل غرفة وغرف، و"حَاجَّهُ" "مُحَاجَّةٌ" "فَحَجَّهُ" "يَحُجُّهُ"من باب قتل إذا غلبه في الحُجَّةِ"[١].

وفي المفردات"الحجة: الدالة المبينة للحجة أي المقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين.. والمحاجة: أن يطلب كل واحد أن يردَّ الآخر عن حجته ومحجته"[٢].

وقال الفراهيدي:"الحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ"[٣].

"والحُجَّةُ: البرهان و حَاجَّهُ فحَجَّهُ من باب رد أي غلبه بالحجة وفي المثل لج فحج فهو رجل مِحْجَاجٌ بالكسر أي جدل و التَّحَاجُ التخاصم و المحَجَّةُ بفتحتين

---

(١) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت) صـ ١٠، وانظر: الزبيدي، أبو الفيض، محمّد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (ط. دار الهداية، د. ت) جـ ٢، صـ ٦٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ط.دار المعرفة – بيروت د.ت) صـ ١٠٧-١٠٨.

(٣) الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي (ط. دار ومكتبة الهلال، د.ت) جـ ٣، صـ ٩.

جادة الطريق"[١]

"والحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ"[٢].

وعن طريق الحجة يتم"كسب تأييد المتلقي في شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة، ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معًا حتىٰ يتقبل ويوافق علىٰ القضية أو الفعل موضوع الخطابة – الخطاب"[٣].

والحوار القرآني واضح في حكاية أسلوب الحجاج، وهو حوار يفهمه العامة والخاصة، ويقيم الحجة علىٰ الناس جميعًا، فقد"أخرج الله تعالىٰ مخاطباته في محاجة خلقه في أجلىٰ صورة"[٤].

"آدابها"، مفهوم الأدب:

يدور مفهوم الأدب حول مكارم الأخلاق وتقويمها وتهذيبها وحسن الخلق والتأديب وترويض النفس، والمعاقبة علىٰ الإساءة، وفيما يأتي بيان ذلك:

الأدب في التعريفات هو:"معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ"[٥].

وفي المصباح المنير وكذا في تاج العروس"الأَدَبُ"يقع علىٰ كلِّ رياضة محمودة يَتَخَرَّجُ بها الإنسان في فضيلة من الفضائل وقال الأزهري نحوه:"فَالأَدَبُ"اسم لذلك

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمود خاطر، (ط. مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٤١٥ – ١٩٩٥) صـ١٦٧.

(٢) المقري،أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت) صـ ١٠، وانظر: الزبيدي، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، جـ ٢، صـ ٦٧.

(٣) حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، عدد ١، مجلد٣٠،(الكويت ٢٠٠١م)صـ١٠٩ – ١١٠،

(٤) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ط.الحلبي، القاهرة، ط. رابعة، ١٣٨٩هـ –١٩٧٨م) جـ ٢، صـ ١٧٢.

(٥) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥ هـ) جـ ٢٩.

والجمع "آدَابٌ" مثل سبب وأسباب و"أَدَّبْتُه" "تَأْدِيبًا" مبالغة وتكثير ومنه قيل "أَدَّبْتُهُ" "تَأْدِيبًا" إذا عاقبته علىٰ إساءته؛ لأنه سبب يدعو إلىٰ حقيقة الأدب، الأَدَبُ: حُسْنُ الأَخلاق وفِعْلُ المَكَارِمِ"[1].

وفي المعجم الوسيط "أدب فلان أدبا: راض نفسه علىٰ المحاسن، أدبه: راضه علىٰ محاسن الأخلاق ولقنه فنون الأدب وجازاه علىٰ إساءته، ويقال أدب الدابة روضها وذللها، ويقال تأدب: تعلم الأدب، ويقال تأدب بأدب القرآن أو أدب الرسول احتذاه، والأدب: رياضة النفس بالتعليم والتهذيب علىٰ ما ينبغي، وجملة ما ينبغي لذي الصناعة أو الفن أن يتمسك به كأدب القاضي، وأدب الكاتب، والجميل من النظم والنثر، وكل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة، والتأديب: التهذيب والمجازاة ومجلس التأديب شبه محكمة يراد منه المحافظة علىٰ المصلحة العامة"[2].

وقد جمع الحوار القرآني كل أطراف الأدب، فلا يتصور أن أحداً ـ في أي وقت أو أي موقع ـ أن ينكر هذه الحقيقة أو يشكك في مصداقيتها، وأدب الحوار في القرآن يختلف عن أدب حوار الناس بعيدا عن منهج القرآن، فقد نجد الأدب في حوار الناس للناس في وقت من الأوقات، ثم لا نلبث إلا قليلا ويبدو وهنه وضعفه وانقشاعه، أما أدب الحوار في القرآن الكريم فهو باق، لا يُغيِّره من ذلك زمان ولا مكان ولا إنسان.

❊ ❊ ❊

(١) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (ط. المكتبة العصرية، د. ت) صـ ١٠، وانظر: الزبيدي، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (ط. دار الهداية، د. ت) جـ ٢، صـ ١٢.

(٢) إبراهيم مصطفىٰ ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (ط. دار النشر: دار الدعوة، د. ت) جـ ١، صـ ٩ ـ ١٠ باختصار.

المبحث الأول
الحجة في محاورة غير المسلمين في القرآن

إن الحوار مع أهل الشرك والكفر في القرآن الكريم يتسم بالحجة والإقناع في أعمق وأدقّ القضايا وأخطرها، فالقرآن في ذاته قوة حوارية معجزة لأنه وحي الله، ولا يوجد في الإسلام ما يسمىٰ بمنع الحوار، ولم يكن فيه إجراءات معقدة لبدء الحوار أو ممارسته، ولم يكن لديه شروط مسبقة للدخول في الحوار، والإسلام لم يفرق بين كبير وصغير في التوجيه إلىٰ إلزام الحجة عند الحوار، أو حر وعبد، أو رجل وامرأة، أو حاكم ومحكوم، فهو يحاور الملوك والأمراء كما يحاور العبيد، ويحاور المسلمين كما المشركين واليهود والنصارىٰ، ويحاور الرجال كما يحاور النساء.

وقد حاور النبي ﷺ غير المسلمين ودعاهم إلىٰ تنزيه الله وتوحيده، ولم يُعرف عنه ﷺ أنه اعترض علىٰ محاورة أحد حتىٰ هؤلاء اليهود الذين توقلوا[1] معارج المكر وتسنموا ذروة العداء، لأن علة الحوار لم تكن انتقاما من أحد، أو انتصارا علىٰ أحد بشخصه، إنما انتصار للعقيدة وإثبات لصحتها، ودعوة إليها ليس أكثر، وإن"المستقصي للحديث النبوي الشريف ليجد أنه جعل الحوار ركيزة قوية من ركائز الدعوة إلىٰ الله والإعلام بدينه للإقناع العقلي والاطمئنان القلبي لتثبيت العقيدة"[2].

والحوار القرآني مع غير المسلمين مليء بآداب وقواعد الحوار، وهو ما يكشف عوار السفسطة والجدل العقيم الذي يمارسه أهل العجب بالرأي، ولهذا قال الإمام

---

(١) توقلوا: من"وقل بالفتح، إذا توقل في الجبل، أي تصعد، وتوقلت الجبل: علوته"، انظر: الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ط.، دار العلم للملايين- بيروت، ط.رابعة- يناير ١٩٩٠م) جـ٦، صـ١٢٢.

(٢) تيسير محجوب الفتياني، الحوار في السنة (منشورات مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ١٩٩٩م) صـ١١.

مالك ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: "أو كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلىٰ محمد ﷺ لجدل هؤلاء"[1].

وبالعودة لأسلوب القرآن الكريم في الحوار وتناوله لمسائل العقيدة نصل إلىٰ نتيجة حتمية؛ هي ضرورة الحجة للوصول إلىٰ الإقناع، بعيدا عن المراء العقيم والسفسطة الجدلية والثرثرة العقيمة.

والرجوع إلىٰ منهج كتاب الله في الحوار ليس عودا إلىٰ الوراء كما يدعي الحداثيون والعلمانيون، وليس هروبا من الواقع والحدث أو فرارا من العصر ولغته، وليس انفلاتا من الحاضر وانكفاءً علىٰ الماضي، بل إن الالتزام بمنهج القرآن في حواره العقدي يستوعب كل التوجهات الإنسانية بكل مستجداتها وألوانها وتحدياتها، ويصوغ علاجا لكل ما يستحدث من ألوان الانفلات العقدي، لا عجب من ذلك فهو كلام الله الخالق، العالم بخفايا الأمور وما تكون عليه في قابل الأيام علىٰ تلونها وتجددها، وكتابه المعجزة الخالدة، والحجة الباقية؛ فمن أحسن من الله قيلا، ومن أحسن منه حديثا؟!! وفيما يلي نسوق جملة من ملامح حجج الحوار القرآني لنقف علىٰ معالم إثرائه وقوته، وفائدته وقيمته:

الحجة الدامغة ودفع الشبهة:

إن حوار القرآن إعجاز كله، والقرآن مليء بالحجج الدامغة القوية الداحضة للشبهات بأنواعها، وهو يستدعي سلوك منافذ الإقناع، والاقتناع هو أساس العقيدة الذي لا يمكن أن يفرض فرضا وإنما ينبع من داخل الإنسان، ويتميز الحوار القرآني بالقوة في إيجازه وفي بيانه وفي إسهابه"فإيجازه معجز، وإطنابه معجز، وألفاظه معجزة، وأساليبه معجزة، ونظمه معجز، كل هذا معجز، وكذا استدلاله وجدله

(١) الأصبهاني، إسماعيل بن محمد أبو القاسم: الحُجَّة في بيان المحجة، بتحقيق محمد ربيع بن هادي المدخلي، (ط. دار الراية، الرياض، السعودية، ط. أولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م) جـ ٢، صـ ٤٥٥، واللالكائي، هبة الله بن الحسن أبو القاسم، شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بتحقيق أحمد سعد حمدان، (ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية) جـ١، صـ ١٤٤.

وبيانه، لا يصل إلىٰ درجته نوع من الكلام... والفرق بين القرآن وكلام أعلىٰ أئمة البيان يجعل الموازنة غير مستقيمة، فالفرق بينه وبين القرآن هو كالفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأنه فرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق"[1]، وتنطلق الحجة في الحوار القرآني من عدة نقاط أجملها فيما يأتي:

أولاً: وضوح الحجة:

إن ترك الواضح الجلي في الحوار، والالتجاء إلىٰ الدقيق الغامض الخفي نوع من التكلف لا يفهمه إلا الخاصة، وهو ينافي قصد الشارع من هداية الناس وبيان الحق لهم بسهولة ويسر.

فهذا التكلف العقيم لا يوجد في الحوار القرآني"فالقرآن العظيم قد اشتمل علىٰ جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالىٰ قد نطق به، لكن أورده تعالىٰ علىٰ عادة العرب لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[2].

والثاني: أن المائل إلىٰ دقيق المحاجَّة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يُفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخطَّ إلىٰ الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن مُلْغِزا، فأخرج تعالىٰ مخاطباته في محاجة خلقه في أجلِّ صورة تشتمل علىٰ أدق دقيق، لتفهم العامة من جليلها ما يُقنعهم ويُلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي علىٰ ما أدركه فهم الخطباء"[3].

(١) أبو زهرة، محمد: المعجزة الكبرىٰ، (ط. دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت) صـ ٣٤٣.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٤.

(٣) الزركشي، محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط. عيسىٰ البابي الحلبي، مصر، ط. ثانية، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م) صـ ٢٤. وانظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، (ط.دار الثقافة العربية =

والحوار الاستدلالي العقدي القرآني يدل على الحقائق في ذاتها،"فبراهين القرآن وحججه دالة على الأمور المعيَّنة، كأسماء الله وصفاته، والملائكة، والرسل، والكتب، والعرش، والكرسي، والجنة والنار، وما وقع للأنبياء مع أقوامهم من قصص وأحداث معيَّنة، وكذلك ما أخبر به الله تعالى ورسوله من الأمور المستقبلية وغير ذلك، كلها أمور معينة ليست من نوع القضايا الكلية التي لا تكون إلا في الذهن، ولا تمنع من وقوع الشركة فيها، كما هو حال ـ مثلا ـ كلام المناطقة وجدلهم، فأقيستهم التي هي عندهم برهانية لا تفيد إلا أمورا كلية، ولا تدل على شيء معين"[1].

ومن صور المحاجّة الواضحة في القرآن؛ محاجة النمروذ لإبراهيم عليه السلام في شأن الله الواحد الأحد سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، و"الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ هو"النمروذ بن كنعان"، وهو أول من تجبّر في الأرض وادّعى الربوبية، ولما أوتي الملك حاجَّ في الله تعالى، وفي المحاجّة وجهان محتملان: أحدهما: أنه معارضة الحجة بمثلها، والثاني: أنه الاعتراض على الحجة بما يبطلها، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ؛ يريد أنه يحيي من وجب عليه القتل بالتخلية والاستبقاء، ويميت بأن يقتل من غير سبب يوجب القتل، فعارض اللفظ بمثله، وعدل عن اختلاف الفعلين في علتهما"[3].

=
للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م) جـ١، صـ٤٥٦.

(١) زاهر بن عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، (ط. مطابع الفرزدق التجارية، السعودية، د.ت) صـ ٤١٥ -٤١٦.

(٢) سورة البقرة:آية ٢٥٨.

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (تفسير الماوردي) النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – د. ت) جـ١، صـ٣٢٩.

وقد أفحم إبراهيم النمروذ بالحجة، وأغرقه في عين باطله ليقر بهوانه وضعفه، ورغم ذلك لم يقطع إبراهيم حواره معه، بل جاراه حتىٰ أثبت وهنه، وفضح أمره علىٰ العالمين"قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغرِبِ، فإن قيل: فَلِمَ عَدَلَ إبراهيم عن نصرة حجته الأولىٰ إلىٰ غيرها، وهذا يضعف الحجة ولا يليق بالأنبياء؟ ففيه جوابان:أحدهما: أنه قد ظهر من فساد معارضته ما لم يحتج معه إلىٰ نصرة حجته ثم أتبع ذلك بغيره تأكيداً عليه في الحجة، والجواب الثاني: أنه لمّا كان في تلك الحجة إشغاب منه بما عارضها به من الشبهة أحب أنه يحتج عليه بما لا إشغاب فيه، قطعـًا له واستظهاراً عليه قال: فإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، أي تحيّر، وقيل انقطع"[1]، وتلك عاقبة المجادل بالباطل ليدحض به الحق.

والحجاج في العقيدة يقع في أمور بديهية معلومة للجميع، ولكنه الكبر والعناد بالباطل، ومنه ما وقع مع النبيِّ ﷺ من محاجة أهل الكتاب في عيسىٰ عليه السلام، فقص الله عليهم قصته وأخبرهم حقيقته ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]، فكانت المباهلة وهي فيصل الحوار عقب المعاندة.

وحجاج القرآن مع أهل الشرك يبدأ متدرجـًا حتىٰ يفهم الجاهل قبل العالم فتقوم الحجة علىٰ الناس جميعـًا، فحجة الله واضحة مقنعة حتىٰ لا يكون للباطل سبيل، ولن يجعل الله للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلا.

ثانيا: حجة الحوار القرآني ملجمة مفحمة معجزة:

منذ إشراقة كتاب الله بالهدىٰ علىٰ البسيطة وإلىٰ الآن، بل وإلىٰ يوم القيامة

(١) نفس المصدر، صـ ٣٣٠.

(٢) سورة آل عمران: آية٦١.

والقرآن يحاور، فهو الذي أثار في العرب دافع التحدي، واستدعىٰ فيهم باعث المواجهة حتىٰ صار سجية فيهم، وتحداهم في منطق ألسنتهم وبلاغتهم، وهذا غاية التحدي، وقمة التحدي في أمية صاحب الرسالة القائم بالمحاورة والمجادلة ﷺ،"فمن دلائل نبوته ﷺأنه كان أميا لا يخط كتابا بيمينه ولا يقرأه، ولد في قوم أميين ونشأ بين ظهرانيهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار المتقدمين، وليس فيهم منجم يتعاطىٰ علم الكوائن، ولا مهندس يعرف التقدير، ولا فيلسوف يبصر الطبائع، ولا متكلم يهتدي لرسوم الجدل ووجوه المحاجة والمناظرة والاستدلال بالحاضر علىٰ الغائب، ولم يخرج في سفر ضاربا إلىٰ عالم فيعكف عليه ويأخذ منه هذه العلوم، وكل هذا معلوم عند أهل بلده مشهور عند ذوي المعرفة والخبرة بشأنه؛ يعرفه العالم والجاهل والخاص والعام منهم، فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية، وكانت معالم تلك الكتب قد ذهبت ودرست وحرفت عن مواضعها، ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها من سقيمها إلا القليل، ثم حاج كل فريق من أهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة المحصلين لم يتهيأ لهم نقض شيء منه، فكان ذلك من أدل شيء علىٰ أنه أمر من عند الله عز و جل، فمن دلائل نبوته ﷺوصدقه فيما جاء به من عند الله سبحانه من القرآن العظيم أنه تحدىٰ الخلق بما في القرآن من الإعجاز، ودعاهم إلىٰ معارضته والإتيان بسورة مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشيء"(١).

وقد تدرج"معهم في التحدي ـ علىٰ سبيل التنزل ـ فتحداهم أن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور منه، ثم بسورة منه ولو من قصاره، فما استطاعوا ولن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً"(٢).

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث، بتحقيق: أحمد عصام الكاتب (ط.دار الآفاق الجديدة – بيروت، طبعة الأولىٰ، سنة ١٤٠١) جـ٢٥٨.

(٢) الزركشي، محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، جـ٢، صـ١٠٨ – ١١٠، باختصار.

والقرآن حاور المشركين في عقائدهم وألزمهم الحجة والبرهان، وتصدىٰ لهم، وناظرهم فيما يعتقدونه، فما استطاعوا له ردا، ولا عنه حولا، وفي قصة الوليد بن المغيرة وإيفاد قريش له إلىٰ النبي ﷺ بغية أن يقطعه ويكفَّه عنهم عبرة"إن الوليد بن المغيرة كان سيد قريش، وأحد فصحائهم، لما سمعه ـ أي القرآن ـ أُخرس لسانه، وبَلُد جنانُه، وأُطفئ بيانه، وقطعت حجته، وقصم ظهره، وظَهَرَ عَجزه، وذَهُلَ عقله"، حتىٰ قال قوله المشهور: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يُعلىٰ عليه"[(١)].

رجع الوليد إلىٰ قومه خاسئا وهو حسير؛ إذ لم تفلح محاورته أمام حجة القرآن البالغة، وكان عبرة لكل ثرثار زعم في الإسلام زعما أو افترىٰ عليه افتراءً. وهم كثر، والقرآن حكىٰ مقالهم وخيبة حوارهم ومن تبعهم من أنساقهم ونظرائهم وأشباههم إلىٰ يوم القيامة، ومنه علىٰ سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾﴾[(٢)].

وقوله: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾[(٣)].

وقال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ

(١) نفس المصدر صـ ١١٠.
(٢) الإسراء: ٤٩-٥١.
(٣) الإسراء: ٩٠-٩٣.

يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾﴾[1]، ويأتي الإفحام القرآني ليغلق أفواه هؤلاء جميعا في كلمات معدودة معجزة في قوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

وباستقصاء نتائج الإفحام والإلجام في هذه الآيات نستقرئ تلو كل استفهام إلهي في الحوار والجدل حول الله تعالىٰ عجزا عن المداهمة من قبل أهل الشرك، والجواب يكون بالاستسلام والإذعان، فـ"قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾، لَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ الَّذِي لَا جَوَابَ لَهُمُ الْبَتَّةَ غَيْرُهُ سيكون: هُوَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا ذَكَرَ مَعَهَا، خَيْرٌ مِنْ جَمَادٍ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَلَمَّا تَعَيَّنَ اعْتِرَافُهُمْ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾؛ لَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ الَّذِي لَا جَوَابَ غَيْرُهُ كَمَا قَبْلَهُ، فَلَمَّا تَعَيَّنَ اعْتِرَافُهُمْ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

(١) الفرقان: ٥-١٠.

(٢) النمل: ٥٩-٦٤.

يَعۡلَمُونَ ﴾، ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ كَمَا قَبْلَهُ. فَلَمَّا تَعَيَّنَ إِقْرَارُهُمْ بِذَلِكَ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾، ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ ﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ كَمَا قَبْلَهُ، فَلَمَّا تَعَيَّنَ إِقْرَارُهُمْ بِذَلِكَ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾، ثُمَّ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ كَمَا قَبْلَهُ، فَلَمَّا تَعَيَّنَ الِاعْتِرَافُ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ "[1].

وهو لا شك أسلوب حواري يبهر ويبهت كل مخالف منكر، ومن جماله تصدره دائما بـ (أَمْ) وهي "منقطعة بمعنىٰ بَلْ للإضراب الانتقالي من غرض إلىٰ غرض مع مراعاة وجود معنىٰ الاستفهام أو لفظه بعدها لأن (أَمْ) لا تفارق معنىٰ الاستفهام، وقد انتقل بهذا الإضراب من الاستفهام الحقيقي التهكمي إلىٰ الاستفهام التقريري، ومن المقدمة الإجمالية وهي قوله: ﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾، إلىٰ الغرض المقصود وهو الاستدلال، والاستفهام تقرير دل عليه قوله في نهايته في ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ فهو تقرير لإثبات أن الخالق والمنبت والرازق هو الله، وهو مشوب بتوبيخ، فلذلك ذيل بقوله ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾ والخطاب بـ (لَكُمْ) موجه إلىٰ المشركين للتعويض بأنهم ما شكروا نعمة الله، وذكر إنزال الماء لأنه من جملة ما خلقه الله، ولقطع شبهة أن يقولوا: إن المنبت للشجر الذي فيه رزقنا هو الماء، اغترارا بالسبب فبودروا بالتذكير بأن الله خلق الأسباب، وهو خالق المسببات بإزالة الموانع والعوارض العارضة لتأثير الأسباب وبتوفير القوىٰ الحاصلة في الأسباب، وتقدير المقادير المناسبة للانتقاء بالأسباب، فقد ينزل الماء بإفراط فيجرف الزرع

(١) محمد الأمين الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م) جـ٣، صـ ٢٠ ـ ٢١.

والشجر أو يقتلهما، ولذلك جمع بين قوله ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ وقوله ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ تنبيها علىٰ إزالة الشبهة"[١].

إن الله عز وجل يعلمنا - من خلال أسلوب القرآن نفسه - كيف نحاور المخالف، فهو يورد الشبهات والأقوال الشنيعة التي يقولها أعداؤه، ثم يردّ عليها ويفندها بالحجج الدامغة، فقد ذكر مثلا قول فرعون ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [٢]، وقوله ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[٣]، وقول النمرود ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾[٤]، وقول اليهود والنصارىٰ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[٥]، وغير ذلك كثير، والله تعالىٰ قادر علىٰ إهلاك هؤلاء جميعـًا بكفرهم، ولكنه أملىٰ لهم وحاورهم علىٰ لسان أنبيائه، لتكتمل عليهم الحجة يوم القيامة، ولم يمنعه سبحانه كفر من كفر عن دعوته﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ [٦].

إن طريقة القرآن الكريم في إدارة الحوار وتوجيه العقول والمشاعر لإدراك أعمق الحقائق أيسر وأشمل وأقوم"فعلىٰ الناظرين في القرآن الكريم والداعين إلىٰ نشر قضاياه ومبادئه أن يعملوا علىٰ إشاعة الأسلوب القرآني، وتقريبه بما يرفع الحجب الاصطلاحية عن وجهه الجميل، حتىٰ لا تغرق معانيه في خضم الاصطلاحات المنطقية والفلسفية"[٧].

وآيَاتُ المحاجة في الحوار العقدي القرآني كثيرة جِدًّا وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ أيضا:

---

(١) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، لتحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط. أولىٰ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) جـ١٩، صـ٢٨٥.

(٢) سورة النازعات:٢٤.

(٣) سورة القصص:٣٨.

(٤) سورة البقرة:٢٥٨.

(٥) سورة التوبة:٣٠.

(٦) سورة الزخرف:٢٥.

(٧) محمد صادق عرجون، القرآن العظيم؛ هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، (مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) صـ٢٨٣-٢٨٤"بتصرف".

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1]، فَلَمَّا صَحَّ اعْتِرَافُهُمْ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا شِرْكَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[3]، فَلَمَّا صَحَّ صَحَّ إِقْرَارُهُمْ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ شِرْكَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[4]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[5]، فَلَمَّا صَحَّ اعْتِرَافُهُمْ؛ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6]، وَقَوْلُهُ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾[7]، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ الَّذِي لَا جَوَابَ لَهُمْ غَيْرُهُ هُوَ: لَا، أَيْ: لَيْسَ مِنْ شُرَكَائِنَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، فَلَمَّا تَعَيَّنَ اعْتِرَافُهُمْ وَبَّخَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[8]، وَالْآيَاتُ بِنَحْوِ هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا، وهذه الاسْتِفْهَامَاتُ التَقْرِيرِية، يُرَادُ مِنْهَا أَنَّهُمْ إِذَا أَقَرُّوا رَتَّبَ لَهُمُ التَّوْبِيخَ وَالْإِنْكَارَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْإِقْرَارِ ؛ علىٰ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾[9]، وَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾[10]، وقوة التأثير الحوارية في القرآن عظيمة علىٰ النفوس حتىٰ جعلت أهل الكفر والإلحاد وأهل الشرك يحطون ركابهم عند بابه قال تعالىٰ في شأن بعض

(١) سورة العنكبوت: ٦١.
(٢) سورة العنكبوت: ٦١.
(٣) سورة العنكبوت: ٦٣.
(٤) سورة العنكبوت: ٦٣.
(٥) سورة لقمان: ٢٥.
(٦) سورة لقمان: ٢٥.
(٧) سورة الروم: ٤٠.
(٨) سورة الروم: ٤٠.
(٩) سورة إبراهيم: ١٠.
(١٠) سورة الأنعام: ١٦٤.

النصارىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ [(١)].

وحجة القرآن الدامغة لكل شبهة دائمة غير منقطعة، ودوامَها في صدقها وقوتها وحجيتها وشمولها؛ باقية ما بقيت السموات والأرض وما بقيت في الأرض حياة، وهي تتعامل مع كافة الناس علىٰ تباين أزمانهم، ومواقعهم، ومراتبهم في الفهم والإدراك، والبقاء والشمول مستمدان من بقاء الرسالة وشمولها، ولا يتصور أن أحداً ـ في أي وقت أو أي موقع ـ يجرؤ علىٰ معارضة حجة القرآن بما يقطعها، أو يشكك في مصداقيتها، علىٰ ما يكون من حجج بعض الناس التي قد تكون قاطعة لبعضهم، وفي وقت من الأوقات، ثم لا تلبث أن يعرف بعض الناس بطلانها أو ضعفها، أما حجة القرآن الكريم فتبقىٰ قاطعة لكل حجة، ولا يُغيِّر من تلك الحقيقة الثابتة زمان ولا مكان ولا إنسان.

ولا شك أن تقرير القواعد الاعتقادية، وإقامة الأدلة والبراهين العقلية والرد علىٰ الخصوم من غير تناقض أو تعارض من أعظم ما جاء في الحوار القرآني بوضوح معانيه، وقوة دلالته، ودقة مقاصده ما يجعله هداية للضالين والغافلين، وقطعا للمعاندين والجاحدين، وحجة علىٰ الخلق أجمعين، فلا تناقض بين أدلته وبراهينه، بخلاف براهين غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [(٢)]، ولا ضعف في قوة حجة حواره ووضوح محجته، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [(٣)]، فلا أحد أحد في قديم الزمن ولا في حديثه يُعرف أنه أقام دليلا صحيحا أو برهانا ساطعا أوحجة قاطعة يعارض بها أدلة القرآن الكريم وبراهينه وحججه، بل لم يذكروا إلا ما يدل علىٰ عجزهم وانقطاعهم، وذلك حين وصفوا القرآن بالسحر والشعر افتراءً

(١) محمد الأمين الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،جـ٣، صـ٢١.
(٢) سورة النساء: آية ٨٢.
(٣) سورة فصلت: الآيتان ٤١-٤٢.

عليه، وهم أول من يعرف براءته من ذلك؛ كما كان من أمر الوليد بن المغيرة وغيره.

بل هؤلاء الذين أخبر القرآن أنهم صالوا النار - كأبي لهب والوليد - لم يجرؤ أحدهم علىٰ تكذيب القرآن بإبطال حجته، وإظهار تناقضه - مع حرصهم علىٰ معارضته - فيعلن إسلامه، ولو علىٰ سبيل المعارضة، فلله الحجة البالغة أبداً.

ويأتي إلزام الخصوم وإفحامهم في الحوار القرآني من أقرب الطرق وأقواها إلزاما وإفحاما، فلا يجد الخصم لنفسه ملاذا غير التسليم والإذعان، ومن ذلك ما حكاه الله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام في مجادلة مدعي الربوبية كما ذكرنا، قال تعالىٰ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1]، ومنه أيضـا: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

ومن جمال الحوار القرآني وأمانته أنه يرشد مخاصميه إلىٰ العقل الصريح، والعقل هو أغلىٰ ما يفاخر به المخاصم، والقرآن لا يخاف نتائج العقل؛ لأنها دائما - إن كانت صحيحة صريحة - لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، بل القرآن يأمر بإعمال الفكر والنظر، واستخدام العقل إلىٰ الغاية الممكنة، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

وهناك قوانين عقلية لا يمكن الاختلاف والتنازع فيها كإلحاق الشيء بنظيره، وإعطاء الفرع حكم أصله ونحو ذلك، ولهذا ذم الله تعالىٰ الذين يجادلون في الله بغير حجة؛ لا من كتاب ناطق، ولا من عقل صادق. فقال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٨.

(٢) سورة الطور: آية ٣٥.

(٣) سورة سبأ: آية ٤٦.

ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ﴾[١].

ونجد آيات حوارية كثيرة في القرآن فيها المطالبة بالتزام ما يقتضيه العقل والإذعان إلىٰ حكمه - وهو موافق لا محالة لحكم الشرع - ومنها قوله تعالىٰ مخاطبا أهل الكتاب في شأن انتسابهم إلىٰ إبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢] وفيه إنكار علىٰ أهل الكتاب"لمحَاجَّتَهُمُ الْبَاطِلَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِ إِبْرَاهِيمَ، حيث زَعَمَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ دِينِهِ تَوَصُّلًا إِلَىٰ أَنَّ الَّذِي خَالَفَ دِينَهُمْ لَا يَكُونُ عَلَىٰ دِينِ إِبْرَاهِيمَ كَمَا يَدَّعِي النَّبِيءُ مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالْمُحَاجَّةُ فَرْعٌ عَنِ الْمُخَالَفَةِ فِي الدَّعْوَىٰ. وَهَذِهِ المحاجة علىٰ طَرِيقِ قِيَاسِ الْمُسَاوَاةِ فِي النَّفْيِ، أَو فِي مُحَاجَّتِهِمُ النَّبِيءَ فِي دَعْوَاهُ أَنَّهُ عَلَىٰ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، مُحَاجَّةٌ يَقْصِدُونَ مِنْهَا إِبْطَالَ مُسَاوَاةِ دِينِهِ لِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، بِطَرِيقَةِ قِيَاسِ الْمُسَاوَاةِ فِي النَّفْيِ أَيْضًا"[٣].

وفي طلب من الخليل عليه السلام لاستدعاء عقل مَنْ عَبَدَ من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره، ومطالبته أن يُحكِّم عقله تهكم عليهم بذلك، قال تعالىٰ: ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٤].

"وقد أثنىٰ الله علىٰ نبيه إبراهيم بالحجة التي آتاه إياها، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلۡكَ

(١) سورة الحج: آية ٨.
(٢) سورة آل عمران: الآيات ٦٥-٦٨.
(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ) جـ٣، صـ٢٧٠.
(٤) سورة الأنبياء: الآيتان ٦٦-٦٧.

حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾[2]، وأَصْلُ الْمُحَاجَّةِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا، وكانوا من قبل قد أُفْحِمُوا بِالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا قَالَ لَهُ الْكُفَّارُ عَنْ أَصْنَامِهِمْ: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾[3]، قَالَ: ﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ ﴾[4]، فَلَمَّا أَفْحَمَهُمْ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ لَجَئُوا إِلَىٰ الْقُوَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ ﴾[5]"[6] وتلك عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم، كلما أفحموا بالحجة القاطعة القاطعة لجئوا إلىٰ استعمال القوة، ولكن الله أنجىٰ إبراهيم من النار، وكذا ينجي من يدافع عنه،وقوله: ﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ معناه"قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع، وقوله ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ أي: قبح عبادتها وباطل تأليهها، وهي جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر"[7]، وواضح توبيخهم بمداهمتهم بالتعجب والإنكار عليهم رغم أن لهم عقولا، ولكنهم لا يعقلون بها.

واشتمال الحوار العقدي الاستدلالي القرآني علىٰ القوانين العقلية الصريحة يجعله حجة علىٰ كل الناس، لاسيما الذين غلبت عليهم النزعات العقلية المجردة

(١) سورة الأنعام: آية ٨٣.
(٢) سورة الأنعام: آية ٨٠.
(٣) سورة الأنبياء: آية ٦٥.
(٤) سورة الأنبياء: آية ٦٧.
(٥) سورة الأنبياء: آية ٦٨.
(٦) محمد الأمين الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،جـ٣، صـ٤٢٨.
(٧) الجزائري، جابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (مكتبة مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،.خامسة،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) جـ ٣، صـ ٤٢٤.

العقيمة، أو الذين لهم معتقدات دينية يتعصبون لها، أو هؤلاء الذين لا ينقلبون عن مذاهبهم المجردة المادية الغربية المستوردة إلا ببراهين جديدة مستحدثة مزيفة، ونستثني من عاند من هؤلاء، والحوار القرآني مليء بالهدىٰ لكل عاقل أراده أو بحث عنه إذا تخلىٰ عن التعصب والعناد.

الحوار القرآني يخاطب العقل والعاطفة معا:

من أوجه القوة في الحوار العقدي القرآني أنه يخاطب العقل والعاطفة علىٰ حد سواء، فهو يأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا، وقد راعىٰ الحوار القرآني مخاطبة العاطفة مع العقل في الحوار حتىٰ لا تتحجر النزعة الوجدانية في نفوس المشركين، فالإيمان في أصله فطرة يستشعرها الوجدان وتتذوقها العاطفة ويؤكدها العقل، ومن هنا فالقرآن يلازم بين هذين الجانبين ليسوق الأفئدة إلىٰ حقيقة العقيدة، ويمتلك كل عناصر التحكم في الإنسان قلبا وقالبا، ظاهرا وباطنا ويخضعها لجلاله طوعا أو كرها، وكل هذا الحراك لا ينفك عن سياج الوحي الإلهي، وعلىٰ أساسه انطلق حوار السلف الصالح، لأنهم فطنوا إلىٰ أن من خصائص المنهج الإلهي في الحوار توازنه،فهو منهج"مشبع للعقل والقلب، كافل للدنيا والآخرة، يلبي حاجات الروح والجسد العاجلة والآجلة"(١).

ويعجز العقل البشري عن مواءمة أو اختلاق مثل ذلك الحوار، فلا يستطيع أي إنسان"عالما كان أو حكيما أو شاعرا أو أديبا، أن يمسك بالأمر من طرفيه، فيأتي بكلام واحد فيه قوة الحجة العقلية وجمال العبارة، ولو وجدا عنده فلا يعملان إلا مناوبة، كلما قويت واحدة اضمحلت الأخرىٰ، وكاد أن ينمحي أثرها، وكلنا يحس من نفسه تناقصَ قوة الوجدان عند استيلاء قوة التفكير، والعكس بالعكس"(٢).

(١) محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام،(ط.نهضة مصر، ط. أولىٰ، سنة ٢٠٠٥م) صـ٣.
(٢) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، (ط. السعادة، مصر، ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م) صـ١٠٧-١١٠، والزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، (ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت) جـ٢، صـ٢٠٩-٢١١، وفهد بن عبد الرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم (ط. مكتبة الحرمين، السعودية، ط.ثانية، ١٤٠٩ه) صـ٣٥-٣٨.

والعقل البشري شاهد على جامعية الحوار العقدي في القرآن للتفكير والعاطفة، والناظر في كلام الناس فلاسفتهم وحكمائهم، وأدبائهم وشعرائهم ومفكريهم؛ لم يجد إلا قصورا في أحد الجانبين؛ فالحكماء ـ مثلا ـ يقدمون نتاج عقولهم، وزبدة تفكيرهم غذاءا للعقل، ويتجاهلون الوجدان فكلامهم ضامر عن إشباع العاطفة وإرواء المواجد.

وإذا نظرنا إلى الشعراء نجدهم يقصدون إلى استثارة الوجدان وإيقاد مجامر العاطفة، ولا يبالون بما يصورونه غيا كان أم رشدا، حقيقة أم خيالا، وعندما يكونون جادين نحسبهم هازلين؛ ونراهم يَطْرَبُون وإن كانوا لا يُطْرِبُون وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [1].

فالشعر بين حالين؛ حال يعبِّر تعبيراً صادقًا عن مشاعر النّفس الوجدانيّة أو التخَيُّلِيَّة لدى مُشاهَدةٍ طبيعية أو حادثة إنسانيّة بالكلام الطيب الذي يُرضي الآمال والمطامع النفسيّة، بإقناعات صادقات، أو بإقناعات توهِم بأنّها صادقات، فتستر بها عورات التلفيق والكذب، وأحيانا يكون شعرا تنكشف فيه عورات التلفيق والكذب وحينها تمجُّه النفوس، ولو سِيق لإرضاء الآمال والمطامع النفسيّة، لكان مقبولا، بخلاف حوار القرآن، فهو عديم المخادعة؛ يرضي العقل والوجدان دون مجاراة أو مداهنة.

وعمومـًا لا نكاد نجد بشرا وفَّى بحق العقل إلا وبخس حق الوجدان، أو وفَّى بحق الوجدان إلا وبخس حق العقل، أما القرآن الكريم فهو جامع بين القوتين: قوة الحجة العقلية البرهانية حتى إنه ليُقنع، وقوة المتعة الوجدانية والعاطفية حتى إنه ليُرضي ويشبع فحول الأدباء والشعراء، فهو كلام الله عز شأنه، لا يشغله شأن عن شأن، فهو القادر على مخاطبة العقل والقلب معا وبلسان واحد، وأن يمزج بين

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢٢٤-٢٢٧.

الحق والجمال، انظر -مثلاً- إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]، وتأمل وتدبر كيف اجتمع في سبع كلمات عمق المقدمات اليقينية، ووضوحها، ودقة تصوير ما يعقب التنازع من الفساد الرهيب؛ مما لو ابتغى أن يأتي بمثله فلاسفة العصور كلها لما استطاعوا إلا بعبارة طويلة وعرة جافة.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

المبحث الثاني
أدب محاورة غير المسلمين في القرآن

المقصود بأدب الحوار هو مجموعة الآداب والأخلاق الحسنة التي يجب علىٰ المتحاورين اتباعها والسير علىٰ دربها بغية تحقيق الأهداف المنشودة من الحوار، وهي المزيد من التفاهم والإسهام في حل المشكلات، مع الإبقاء علىٰ العلاقات الإنسانية القائمة في حالة حسنة دون تغير إلىٰ الأسوأ نتيجة اختلاف الآراء، وقد عرض القرآن لحوار الرسل والأنبياء وبين ملامحه التي يكسوها اللين والصبر والتحمل، وعرض لطريقتهم في التخاطب، بطريقة تجمع بين"عمق المعنىٰ ودقة التصوير، ووضوح التعبير، وسلامة التركيب دون إخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية، وتدفع بالعقول إلىٰ النظر دون ارتباط بالاصطلاحات المنطقية الفلسفية المعقدة"[(١)]، وقد تضمن حوار النبي ﷺ دعوة ذات أصول وفروع، أصولها الإيمان بالله تعالىٰ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ... وفروعها القيام بأوامر الشريعة من عبادات مفروضة وآداب معلومة.

وفيما يلي بيان لأبرز آداب الحوار العقدي في القرآن تحت مفهوم التسامح والتلطف واللين:

أولا: المصابرة والحلم والحرص على البلاغ:

حكىٰ القرآن حوار الأنبياء والرسل مع قومهم حين دعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، فهذا نوح –عليه السلام– يحاور قومه وليس له بغية ولا طلبة إلا إثبات توحيد الله ونزع الشرك من قلوبهم، ولم ير نفسه في ظل حرصه علىٰ البلاغ رغم أنهم اتهموه بالضلال، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ

(١) زاهر بن عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، صـ ٤١٦-٤١٧.

مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]، فعماد حوار نوح مع قومه ومصابرته فيه وحسن منطقه؛ يعمد إلىٰ إثبات حقيقة واحدة وهي عبادة الله وحده، وهو صريح في قوله"اعبدوا الله مالكم من إله غيره"أي"أدعوكم إلىٰ التوحيد"[2].

وها هو هود -عليه السلام- ينازعه قومه ويصبر علىٰ أذىٰ محاورتهم ويتحمل جنوح ألسنتهم، ويحاورهم بالحسنىٰ ليصل إلىٰ طلبة رسالته وبغية مهمته، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3].

إنه حاورهم بالحسنىٰ وصولا بهم إلىٰ نبذ الشرك وهجرانه، فاتهموه بالسفاهة، وهي"الحمق والطيش وعدم البصيرة بالحياة حين خرج عن إجماع قومه، وواجههم بعيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، واتهموه بالكذب حين قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ فيما جئت به من الرسالة، ودعوت إليه من التوحيد ونبذ الآلهة، فأجاب هود عليه السلام راداً لشبهتهم فقال:

﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فلست كما تزعمون أن بي سفاهة ولكني أحمل رسالة أبلغكموها، وأنا في ذلك ناصح لكم مريد لكم الخير أمين علىٰ وحي الله تعالىٰ إلي، أمين لا أغشكم ولا أخونكم فما أريد لكم إلا

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ٥٩ ـ٦٢.

(٢) أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، بتحقيق: د.محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت ـ د.ت)، جـ١، صـ٥٤٠.

(٣) سورة الأعراف: ٦٥ ـ٦٩.

الخير"[1].

وفي ذلك إشارة صريحة إلىٰ إثبات حقيقة واضحة، وهي أن طبيعة الدعوة إلىٰ توحيد الله تعالىٰ تقتضي الخروج إلىٰ الناس ومحاورتهم أو مجادلتهم – والجدال درجة أشدّ من الحوار – بالحسنىٰ؛ ذلك لأن الداعي لا يتوقع أن يذعن أكثر الناس إلىٰ وعظه لمجرد كونه داعيًا حتىٰ لو كان نبيًا مرسلاً وما سبق من موقف نوح وهود مع قومهما من حسن الحوار والجدال، وتكذيب قومهما لهما وتسفيههما وكيف أن ذلك لم يخرجهما عن أدب الحوار والمصابرة عليه شاهد علىٰ ذلك، وكذا أمر صالح في قومه حين حاورهم علىٰ التوحيد قال تعالىٰ:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾، وقال في نفس الأمر عن شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾، وهذه الدعوة إلىٰ التوحيد تؤكد للمحاور الداعية"ضرورة تحديد أولويات التفاوض، وهنا علينا تحديد أهمية كل نقطة ووزنها، ومن ثم تحديد أولويات التحدث بشأنها، وتصديرها علىٰ قائمة موضوعات النقاش أو تهميشها أو السكوت عنها، وهل نبدأ بالمشكلات الرئيسية أو الفرعية"[2].

ونلحظ في منهج الأنبياء في الحوار حسب بيانه في القرآن كما سلف تجنب الغضب، لأنه من أخطر آفات الحوار، فهو يخرج الإنسان عن حدود السلوك القويم، وتلك حقيقة فـ"إن الحوار لا يكاد يبدأ جدالاً بالتي هي أحسن ... حتىٰ تتسلل إليه الحدة والشدة وتستولي علىٰ بعض أطرافه روح الضيق بالمخالفين والمسارعة إلىٰ اتهامهم في أفكارهم ونياتهم، وأخذهم بالشبهة وسوء الظن،

---

(١) جابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط.خامسة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) جـ ٢، صـ ١٨٩ بتصرف يسير.

(٢) حسن محمد وجيه: مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي، سلسلة عالم المعرفة (١٩٠) (الكويت، ربيع الآخر ١٤١٥هـ- أكتوبر ١٩٩٤م) صـ ٢٨.

واستثارتهم باللفظ الجارح والعبارة القاسية، ويترك بعضهم ساحة الحوار إيثاراً للسلامة ويختار بعضهم أن يدفع السيئة فيرد علىٰ الصيحة بأعلىٰ منها، يتلقىٰ التهمة فيوجه مثلها أو أشد ... ثم لا تلبث القضايا التي بدأ الحوار بقصد خدمتها أن تضيع وسط الاتهامات المتبادلة"(١).

وقد سجلت كتب السيرة والسنة علىٰ نسق ما سجله القرآن كثيراً من حوار النبي ﷺ مع أهل الشرك بالقول اللين الحسن والرغبة الصادقة في نفع الناس في دينهم ودنياهم، ولا أدل علىٰ ذلك من كثرة الأحاديث الحوارية في سيرة النبي ﷺ وسنته الشريفة، وهذا العدد الكبير من الحوارات يُظهر بجلاء أن الحوار كان الوسيلة الأولىٰ المفضلة لدىٰ النبي ﷺ وصحابته في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وإثبات توحيده ونبذ الشرك، فالحوار في السنة هو المنهج الذي اتبعته الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالحسنىٰ بكل تفصيلاتها ومراحلها.

وعلاقات المسلمين بغيرهم في مكة في مستهل دعوة التوحيد قامت كلها علىٰ الحوار، و"بفضل الحوار كان يقيم النبي ﷺ الحجة والبرهان علىٰ المشركين وأهل الكتاب وغيرهم"(٢).

وقد آتىٰ الحوار العقدي منذ بزوغ شمس الدعوة أكله الطيب، فأسلم مَنْ أسلم بهذه الطريقة الحوارية اليسيرة المحببة إلىٰ الناس، ولم يثبت قط أن أحداً من الناس أُجبر علىٰ ترك شركه أو ديانته أيا كانت والدخول في الإسلام، كيف والقرآن نفسه يبين ذلك بجلاء في قوله تعالىٰ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ (٣)، وقد مثّل حوار النبي ﷺ مع أهل المدينة لهذه الآية علىٰ سبيل المثال حين خرج ﷺ في الموسم ليعرض نفسه علىٰ قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند

(١) أحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، (ط.، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٨م) صـ ٢٤.

(٢) محسن الناظر، حوار الرسول ﷺ مع اليهود: (ط. دار الدعوة، الكويت، ط. أولىٰ، سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م) صـ ٥.

(٣) سورة البقرة:آية ٢٥٦.

العقبة لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيراً.. قال ابن إسحاق:"لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أَمِنْ موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلىٰ، فجلسوا معه فدعاهم إلىٰ الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلىٰ الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسىٰ أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلىٰ أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلىٰ بلادهم وقد آمنوا وصدقوا"[(1)].

إن الحوار العقدي النبوي يسير مع منهج القرآن في درب واحد، لأن كليهما يخرج من مشكاة واحدة وهي وحي الله تعالىٰ، والقرآن كوّن الصفات المثالية أثناء ممارسة الحوار في الدعاة جميعا التي تستجيب لها الفطرة وتتناغم معها، والقوة بعد ذلك تتولاها الفطرة بعد اقتناعها وارتياحه لما جاء به الحوار، وقوة الفطرة لا تشاهد بالعين، ولا ترىٰ بالمجهر، ولا يعرفها التشريح أو الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء)، إنها قوة معنوية يحسها الإنسان في حناياه تهديه إلىٰ الواجب، وتدله علىٰ الحق، وتدفعه إلىٰ سلوكه علىٰ الرغم مما قد يكون فيه من مشاق وعقبات، وتبين له طريق الشر، وتدفعه إلىٰ تجنبه علىٰ الرغم مما قد يكون في سلوك ذلك الطريق من

(1) ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: سهيل زكار، (ط. دار الفكر، بيروت، ط. أولىٰ ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) جـ١، صـ٢٨٩ – ٢٩٠.

منفعة تخصه ولذة عاجلة، وحين يتبع المرء هذه القوة يحصل علىٰ راحة النفس وطمأنينة البال، وحين يخالفها يقع تحت طائلة الشقاء والتعاسة والقلق والعذاب.

ورسالة الداعية تستدعي أن يمتزج حواره بالحنو والحنان حتىٰ تصل إلىٰ العقل بأناة، وتخالط القلب وتستقر فيه، فـ"إن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوىٰ الذهنية"[1]، وما الحواس البشرية الظاهرة إلا سبل تنتقل من خلالها وقائع العالم الخارجي إلىٰ النفس الإنسانية المدركة (عقلاً وقلبـًا)؛ ليصدر الحكم عليها من خلال الدستور الكامن فيها، ذلك الدستور الذي عنيت الدعوة الإسلامية بتسطير مواده في ازدواجية تجمع بين قناعة العقل وعاطفة القلب.

ثانيا: التواضع في لهجة الحوار وعدم التكبر والتعالي:

إن من أدب الحوار من خلال استقراء آي الله في القرآن: التواضع للمحاور، وعدم التعالي عليه أو استحقاره، فالحوار يقتضي "التواضع الذي يستصغر به الإنسان نفسه وجهده، بحيث لا يقف من خصمه موقف التحدي ولكن موقف المسترشد المتعرّض بنفسه لمساقط الغيث، وعلىٰ جسر هذا التواضع الذي يفتح الطريق أمام الرأي الآخر تنجلي معركة الرأي عن فوائد كثيرة"[2] وهذا من هدي القرآن الذي نزل لهداية الناس كافة، وما فيه من الحوار والجدل إنما هو لمخاطبة الناس جميعا، وعلىٰ مختلف مستوياتهم العقلية والعاطفية بلا استعلاء، ما يشعر المحاوَر بأن الذي يدعوه يهدف أولاً إلىٰ مصلحته ويبغي له الخير، كما قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ ﴾[3]، بل إن القرآن بين أن التكبر أمر مذموم وهو مرض إبليس الذي أخرجه إلىٰ الكفر، والناس لا يقبلون حوارا من متكبر أيـًا

(١) محمد الغزالي، عقيدة المسلم، (ط.دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط.رابعة (١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م) صـ٦ .

(٢) محمود محمد عمارة، من أجل حوار لا يفسد للود قضية، (ط. مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) صـ٨٦..

(٣) سورة هود: ٨٨.

كان موقعه أو منصبه أو مكانته، فإن قبلوا منه لمكانة لـه أو سلطان فعلىٰ مضض وكره وتربص إلىٰ حين.. ولهذا أوصىٰ لقمان ولده بقوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)].

ولا ينبغي أن يبدأ الحوار بتخطئة الآخر، واتهامه عنفوانا، ومظنة العصمة، وإلا فلماذا الحوار إذاً؟ إن الحوار سبيل لبيان الحق، إذا شابه الكبر والإدانة والاتهام فلن يظهر الحق، وسوف يصر الطرف الآخر علىٰ موقفه، ومن ثم تضيع الحقيقة، وهذا ثابت في كثير مما أوردناه من حوارات النبي ﷺ، فلم يثبت قطُّ في حوار للنبي ﷺ أنه سبّ محاوره أو لعنه أو قبّح أو تنقّص... حتىٰ في أشد الأزمات وأحلك الأوقات، ولا يتحقق إصلاح المعتقدات السائبة وضبط مسيرها إلا علىٰ أساس الاصطبار علىٰ الحوار بعيدا عن تعجل نتائجه، وذلك يشل حركة الحوار، ويسيء للإسلام، ويوقعه تحت الضربات الموجعة من أعدائه، وإن بشاشة الوجه، ولين الجانب، وخفض الجناح، وإلقاء التحية؛ أمور كالسحر في اجتذاب القلوب والنفوس، وكذا لقاء المحاور بوجه طلق وبإلقاء السلام، كل ذلك يفتح مغاليق القلوب ويقارب بين الأرواح، لهذا السبب ورد ذم المجادل المتكبر عن الحق ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾ [(٢)].

والإصلاح العقدي يمكن الوصول إليه بتحرير محل النزاع مع المخالف بأدب وتواضع وأناة، ولذلك الأدب قيمة عظيمة في عدم تشعب الخلاف إلىٰ ما لا خلاف فيه، وذلك بالاعتناء بالمضمون المتنازع فيه وتقريب شقة الخلاف، بحيث يسقط منها الخلاف اللفظي الذي يضخمه الكبر والعجب بالرأي والدخول في مبارزات كلامية، فمع التواضع تنبع روح التسامح في الحوار تختفي عندها حدة الخلاف بالنتائج، فللحوار روح ومعنىٰ وقيمة في القرآن، فلم يكن أبدا ضامرا ولا صلبا ولا

(١) سورة لقمان: ١٨.

(٢) سورة الحج: ٨-٩.

جافا كما في"طريقة المناطقة في الجدل والاستدلال التي لا يفهمها إلا طائفة خاصة من الناس؛ وذلك لما فيها من الغموض، والإلغاز في الاستدلال، والتطويل في العبارات، فطريقة القرآن في الحوار بعيدة عن طريقة المناطقة والفلاسفة الاصطلاحية في المقدمات والنتائج من الاستدلال بالكلي على الجزئي في قياس الشمول[1]، أو الاستدلال بأحد الجزئين على الآخر في قياس التمثيل، أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء [2]"[3]، فقد تفرد القرآن بمنهج حواري لا يضاهيه منهج ولا يبلغه حوار.

ثالثا: الالتفات للمحاوِر والإنصات إليه:

إن حسن الاستماع والإنصات للمحاور والالتفات من أهم الآداب المؤثرة في الحوار العقدي، ولقد ضرب سيد الدعاة ﷺ في ذلك أروع المثل حين حاور أهل مكة وأنساقهم.

وما أحوج الحوار المعاصر إلى هذا الأدب عند محاورة أهل الزيغ، وما أحوجنا إلى فهم أننا نخاطبهم بأدب عقيدتنا وأخلاق ديننا وأنهم إن خرجوا عن الأدب فلأنهم يحاورننا بأخلاق دينهم وعقائدهم التي تركت فيهم موروثا ضخما من العداوة، ولا يزال ذلك الموروث مؤثراً فاعلاً، إنه يعيش في اللاوعي الجمعي لأهل الكفر، ويُستدعى على الفور إلى منطقة الوعي مع أول احتكاك فردي أو

---

(١) المراد بقياس الشمول: اشتراك الأفراد في حكم عام وشموله لها. انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس: الرد على المنطقيين (ط.دار المعرفة، بيروت ـ لبنان،د.ت)، صـ ٣٦٤.

(٢) المقصود بقياس التمثيل: إثبات حكم في أمر لثبوته في آخر لعلة مشتركة بينهما، ويسمى المحكوم عليه فرعـًا، والشيء المنقول منه الحكم أصلاً، أو مثالاً، والعلة المشتركة بينهما جامعة. وهو قياس الأصوليين، ويسمى الشرعي. والمراد بالاستقراء: هو الحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم في جزئياته أو أفراده، إما كلها وهو الاستقراء التام، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور، معتمداً على مبدأ الحتمية، كقولنا: لكل طائر جناحان. انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (ط.دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط.أولى، د.ت) جـ ١، صـ٧١-٧٢.

(٣) محمود شيخون، من أسرار البلاغة، (ط. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ)، صـ٢٢٣.

جماعي، ففي الولايات المتحدة علىٰ سبيل المثال"من الأسهل علىٰ الأمريكي الأبيض أن يصحح علاقته مع الأمريكي الزنجي أو المكسيكي من أن يعيد النظر في علاقته مع العربي المسلم، لقد جرىٰ تعديل النظرة إلىٰ الصيني وإلىٰ الأفريقي، أما العربي المسلم فما يزال عرضة لنظرة دونية تبعـًا لموروث تاريخي يضرب في الأعماق إلىٰ أيام روما علىٰ الأقل، مروراً بالفتح العربي والحروب الصليبية وفتوح بني عثمان وعصر الاستعمار"[(١)].

وقد عاتب الله خليله ﷺ في عبد الله ابن أم مكتوم لالتفاته عن محاورته وعدم إنصاته إليه، وأنزل فيه قرآنا، قال تعالىٰ معاتبا نبيه ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [(٢)] قال ابن العربي قي أحكام القرآن"قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ فِيهَا مَسْأَلَتَانِ: الْمَسْأَلَةُ الْأُولَىٰ لَا خِلَافَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَىٰ، قَالَ مَالِكٌ: إنَّ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ حَدَّثَهُ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَتْ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ جَاءَ إلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ؛ عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَك اللهُ، وَعِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَىٰ الْآخَرِ، وَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، هَلْ تَرَىٰ بِمَا أَقُولُ بَأْسًا، فَيَقُولُ: لَا، مَا أَرَىٰ بِمَا تَقُولُ بَأْسًا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾، قَالَتْ الْمَالِكِيَّةُ مِنْ عُلَمَائِنَا: اسْمُ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ عَمْرٌو، وَيُقَالُ عَبْدُ اللهِ، وَالرَّجُلُ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾، وَمَعْنَاهُ نَحْوُهُ حَيْثُمَا وَقَعَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺإنَّمَا قَصَدَ تَأَلُّفَ الرَّجُلِ الطَّارِئِ ثِقَةً بِمَا كَانَ فِي قَلْبِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ مِنْ الْإِيمَانِ"[(٣)].

وقال الواحدي عن آية عبس:"هو ابن أم مكتوم، وذلك أنه أتىٰ النبي ﷺ وهو

---

(١) محي الدين صبحي: المسلمون والبرابرة ومعارك الحضارات، مقال بمجلة الاجتهاد السنة (١٣) (بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.) عدد ٥٢، صـ ٢٩٣.

(٢) سورة عبس: آية: ١.

(٣) ابن العربي؛ محمد بن عبد الله الأندلسي، أحكام القرآن، (ط. دار الكتب العلمية، د.ت) جـ٨، صـ ٣٠.

يناجىٰ عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام وعباس بن عبد المطلب وأبيا وأمية ابني خلف، ويدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم وقال:

يا رسول الله، علمني مما علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدرىٰ أنه مشتغل مقبل علىٰ غيره، حتىٰ ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺلقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس رسول الله ﷺ وأعرض عنه وأقبل علىٰ القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه يقول: مرحبا بمن عاتبني فيه ربىٰ، مع أن إعراض النبي عنه كان لاطمئنان قلبه علىٰ سلامة قلب ابن أم مكتوم"[١]، فاهتم بمن يحتاج إلىٰ محاورة ليثبت الحق لديه.

ونرىٰ إنصات النبي ﷺ لعتبة بن ربيعة واستماعه منه باهتمام ودون مقاطعة حتىٰ فرغ فقال النبي ﷺ: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل"[٢]، وحسن الاستماع من النبي ﷺ للرجل جعله يجلس ويستمع كذلك، وإن لم يهتد، فتلك قضية أخرىٰ.

"إن المحاور الجيد هو الذي ينتظر، ويتأكد مما يسمعه، ويستوضح أي غموض حتىٰ يتأكد قبل إصدار الحكم"[٣].

وكثيراً ما نرىٰ ونسمع محاورات في التلفاز والمذياع فنجد هذا الأدب مفتقداً في كثير منها، إذ يتحدث أحد المتحاورين فلا يصبر عليه الآخر فيقاطعه قبل تمام حديثه، وربما دعاه إلىٰ ذلك أن الأول أراد أن يستأثر لنفسه بالحديث فأطال، وهي آفة أخرىٰ من آفات التحاور، وهنا تسمع صوتين يتحدثان معـًا ومن ثم يتدخل

---

(١) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول (ط. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، د.ت) جـ١، صـ٢٩٧.

(٢) ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: سهيل زكار، (ط. دار الفكر، بيروت، ط. أولىٰ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) جـ١، صـ١٩٣.

(٣) حسن محمد وجيه، مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي، صـ٢٦.

المذيع أو مدير الحوار.. وتكون صورة مؤسفة تضيع معها بعض معالم القضية موضوع الحوار، وهو مخالف للأدب القرآني النبوي في الحوار فعن أبي أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ،

قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ"[1] إن النبي ﷺ كان يستوي عنده الناس فلا يستمع لغني ويعرض عن فقير، ولم يكن تعامله علىٰ أسس مادية أو تفاوت مجتمعي، فكما جالس الملوك والأمراء ودعاهم ووعظهم، جالس عامة الناس رجالاً ونساءً وحاورهم ودعاهم بالحسنىٰ، وهذه واقعة من وقائع كثيرة تدل علىٰ ذلك، فالنبي ﷺ كان في سفر، والمسافر يشغله سفره عن أمور كثيرة، ولكن النبي ﷺ لا يشغله سفره عن الدعوة إلىٰ الله، ولذا مدح الأعرابي الذي سأله ذلك السؤال الجامع وهو علىٰ ناقته بقوله:

"لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ"بل زاد علىٰ ذلك أن استعاده السؤالَ ثانيةً ليسمع أصحابه ويتعلم الناس، ثم وعظه بجوامع الخير من العبادة وصلة الرحم.

والحوار مع غير المسلم جائز لعلة تحقيق مصلحة المسلمين وحقن الدماء وحفظ الأموال، بل إن المشركين والظالمين وأهل الأهواء إذا عظّموا أمر الله تعالىٰ في شيء وجب إعانتهم فيما ظاهره الخير لعلهم يهتدون إلىٰ الحق، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله من فوائد صلح الحديبية:"أن المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمراً يعظّمون فيه حرمة من حرمات الله تعالىٰ أجيبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه وإن منعوا غيره، فيعاونون علىٰ ما فيه تعظيم حرمات الله تعالىٰ لا علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كِتَابُ الْإِيمَانَ، باب بَيَانِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُدْخَلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت) جـ ١، صـ ٤٢.

كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوىٰ ذلك.. وهذا من أدق المواضع وأصعبها وأشقها علىٰ النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق"[١].

رابعا: التلطف واللين والحلم وحسن إدارة الحوار:

إن التلطف والحلم من أهم آداب الحوار العقدي في القرآن، والتي سلك طريقها الأنبياء والمرسلون في حوارهم، فمثلا "أمر الله جل وعلا نبيه موسىٰ وهارون عليهما وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام: أن يقولا لفرعون في حال تبليغ رسالة الله إليه فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[٢]، أي: كلاماً لطيفاً سهلاً رقيقاً، ليس فيه ما يغضب وينفر، والقول اللين في هذه الآية بقوله:

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[٣]، وهذا والله غاية لين الكلام ولطافته ، ورقته، كما ترىٰ، وما أمر به موسىٰ وهارون في هذه الآية الكريمة أشار له تعالىٰ في غير هذا الموضع، في مثل قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٤]"[٥].

ويؤخذ منه أن من أدب الحوار في الدعوة إلىٰ الله الرِّفق والحكمة والتلطف واللِّين، وتجنب القسوة والشدة والعنف، فالحوار قرين الحكمة والموعظة الحسنة في جميع الأحوال، وارتباط الحوار بالأدب هو من قبيل ارتباط المنهج والمضمون بالوسيلة والأسلوب؛ فالحوار هو الوسيلة والأسلوب، والحكمة والتلطف هما المنهج، بينما المضمون هو الموعظة الحسنة، وليست أية موعظة، علىٰ أي نحوٍ من

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، زاد المعاد في هدي خير العباد،، (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م)جـ٣، صـ٢٦٧.

(٢) سورة طه: آية ٤٤.

(٣) سورة النازعات: ١٧-١٩.

(٤) سورة النحل: آية ١٢٥.

(٥) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ط.دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان - سنة ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م) جـ٤، صـ١٥.

الأنحاء، ولا بأية طريقة من الطرق، ولكنها موعظةٌ حسنة، وينطبق هذا علىٰ الحوار انطباقًا كاملاً، فالمحاورة"بالطريقة التي هي أحسن؛ أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف"[1]،وذلك أمر من الله تعالىٰ لرسوله"بأن يدعو إلىٰ دين الله وشرعه بتلطف، وهو أن يسمع المدعو حكمة، وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس أجمل موقع"[2].

وهذا التلطف أصبح ضرورة لا تقبل النقاش في تلك الآونة بالذات رغم هياج مطاعن الغرب تجاه الإسلام ونبيه، فلا شك أن مثل أزمة الرسوم والكتابات الساخرة من النبي محمد ﷺ المستعرة هذه الأيام في أوربا وأنساقها من صور التفنن في الطعن في عقيدتنا أثر من آثار عداء دفين مستتر في اللاوعي الجمعي لشعوب أوربا، وها هو يُستثار مرة بعد أخرىٰ فيخرج مكنونه في صور شتىٰ من العداء للإسلام ورسوله والمسلمين، وهو ما نبهنا إليه القرآن دائمًا حين عالج علاقتنا بأهل الكتاب ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[3]، وعلىٰ الرغم من مساوئ الغرب وعبثه عبر انتهاكاته الصارخة يوما تلو يوم، فلا شك أننا في حاجة ماسة إلىٰ مراجعة طريقة حوارنا وضبطها علىٰ نسق حوار القرآن، ولا شك أن الحوار مع الآخر – غير المسلم – لا يزال متخلفًا في ثقافتنا المعاصرة كما هو شأن كثير من أمورنا نحن المسلمين، إنه لم يصبح بعدُ منهجًا محدداً أو عملاً مؤسسيًا يقوم عليه متخصصون دارسون وملمّون بمسائل الحوار وآدابه وضوابطه وبثقافة الآخر وعلومه وأخلاقه وآدابه.. إلخ، فهو يحتاج لذلك لدرء الهجمة الشريرة الشرسة علىٰ الإسلام والمسلمين، ولاستكمال شروط الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ التي هي هدف

---

(١) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بتحقيق: عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت) جـ٢، صـ ٦٠.

(٢) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، ط. أولىٰ – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م) جـ٥. صـ ٥٣٠.

(٣) سورة البقرة:١٢٠.

أساس من أهداف المسلمين مع غيرهم دائماً، فهل يمكن معالجة ذلك كله إلا بفتح قنوات الحوار مع الأخر على نفس الميزان القرآني في الحوار دون إفراط في تهاون ولا تعسف ؟! نأمل في ذلك فالخير في أمة رسول الله ﷺ باق ما بقيت في الأرض الحياة.

ومثل هذه المواقف تستدعي المجادلة، وهي مقارعة الحجة بالحجة، وتأتي في المرتبة الثانية من مراتب الدعوة إلى الله، وكما أن الدعوة لا تتم على الوجه الشرعي، إلا إذا كانت صادرة عن الحكمة، ومقترنة بها، كذلك الحوار لا يكون إلا بالتي هي أحسن، أي أحسن الوسائل وأقوم الأساليب، وأصح الطرق، وذلك ضمن مبادئ الحوار، وآدابه، وبذلك يتضح جليا مدى تأكيد القرآن على منهج وأسلوب اللين والحكمة في الحوار.

وكان سيد الدعاة ﷺ يعلم أدب الحوار لسفراء الإسلام من الدعاة، وترك فيهم منهجا تربويا ثريا كونهم على أسمى ألوان الحسن والحكمة في الحوار الدعوي، ويتجلى ذلك حين بعث النبي ﷺ إلى أهل اليمن، ووجهه إلى الحكمة في حواره معهم، ودعوته إياهم إلى توحيد الله وعبادته، والصبر على آثاره ونتائجه حتى يؤتي ثماره بقناعة وتمكين، قال النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله – عز وجل – فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموالهم"[(١)].

والحوار الإسلامي يحمل في عباراته أصول العقيدة التي يدعو إليها ويدافع عنها، ولقد ضرب النبي محمد ﷺ أحسن الأمثلة في حواره مع الناس في زمانه، إذْ آتاه

(١) رواه مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) في صحيحه (الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم)، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ط. دار الجيل بيروت، د.ت) جـ ١، صـ ٣٨.

الله جوامع الكلم، وأعطاه القدرة علىٰ الحوار والجدال بالحسنىٰ والإقناع – إن وجد أرضًا خصبةً – من أقصر طريق، حيث الدعوة إلىٰ توحيد الله وتنزيهه في صفاته وأسمائه وأفعاله.

ولا أدل علىٰ حسن حوار النبي في أصول الاعتقاد وفروع الشريعة من حواره مع المجتمع المكي حين حاور كبار رجال مكة وأشرافها، وكان من أولهم عمه أبو طالب الذي نازعته قريش نزاعًا طويلاً في أمر ابن أخيه، حيث قال أبو طالب لرسول الله ﷺ:"يا ابنَ أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عمِّ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم – أو كما قال ﷺ – بعثني الله به رسولاً إلىٰ العباد، وأنت أيْ عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلىٰ الهدىٰ وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه أو كما قال، فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخلصُ إليك بشيء تكرهه ما بقيت"[(١)].

ثم إن اتباع الحسنىٰ في القول والفعل كاف في جذب القلوب والعقول الواعية إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ وتوحيده وتنزيهه، ولهذا أُمر المسلمون بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[(٢)] قال ابن كثير:"قال قتادة وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولم يبق معهم مجادلة، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف، وقال آخرون: بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين فيجادل ليكون أنجع فيه"[(٣)].

إننا بحاجة ماسة إلىٰ تغيير لغة الحوار العقدي في عصرنا والعود إلىٰ لغة الحوار القرآني الهادف، وذلك يستدعي أن نضع في تقديرنا عدة أمور من أهمها وأبرزها:

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: جـ١، صـ١٦٨.

(٢) سورة العنكبوت:آية ٤٦.

(٣) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (ط مؤسسة الريان، لبنان د.ت) جـ٣، صـ٥٤٧.

أولا: اعتماد لغة الحوار القرآني وأسلوبه ومنهجيته في تأسيس الإيمان وفي مخاطبة العقل والوجدان علىٰ حد سواء باللين والحلم والأناة وبعيدا عن الإفحام واستعراض عضلات الإفحام والإلجام بعدم الإنصات والحرص علىٰ الانتصار في نهاية المعركة الجدلية بعد تحولها بتلك النعوت من الهدوء إلىٰ عاصفة ترابية تحجب الرؤية.

ثانيا: تناول بعض قضايا العقيدة بمنهج القرآن لضمانة تحقيق مقاصده، بعيدا عن قضايا الجدل العقيم التي شغلت حيزا كبيرا من المؤلفات والجهود والأوقات، والتي عطلت أولويات الحوار وأضفت عليها حجابا كثيفا غيَّب منها المعاني الجميلة التي كانت تشع بها في السياق القرآني وفي نفوس الرعيل الأول من الصحابة وخيار الأمة.

ومن أظهر صور الحلم في الحوار العقدي ذلك الحوار المباشر بين النبي ﷺ والنصارىٰ وكان"في السنة التاسعة للهجرة حين أرسل إلىٰ نصارىٰ اليمن يدعوهم، فأرسلوا وفداً منهم إلىٰ المدينة للاطلاع علىٰ الأمر، وهو مشهور في كتب السيرة والتاريخ بوفد نصارىٰ نجران"[1].

وأسلوب النبي ﷺ في حواره مع وفد نجران يمثل قمة الرقي الحضاري الذي عرفته الإنسانية علىٰ مدار تاريخها الطويل، في وقت نرىٰ فيه تحولا في الحوار في مسائل أقل شأنـًا تُقطع فيها الرقاب وتحرق في سبيلها الأجساد في مشارق الأرض ومغاربها قديمـًا وحديثـًا مع العدو أو المخالف أو المخطئ، وجاءت سيرة محمد ﷺ نوراً يشع للبشرية يعلمها كيف تعفو وتصفح، وحوار النبي ﷺ مع نجران يضبط حواراتنا المعاصرة المخطط له مسبقـًا كحلقات النقاش والتفاوض..ليبين لأصحابها أنه ينبغي أن تكون نية العبد خالصة فيه لله بإظهار الحق والدفاع عنه، ومسألة النية كبيرة ليس هنا محل بسطها.

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، (ط. دار المعارف، القاهرة، ط. سادسة، د.ت) جـ٣، صـ١٣٩.

و"الآيات من أول سورة آل عمران إلىٰ ثلاث وثمانين منها نزلت في مناسبة مجيء وفد نصارىٰ نجران إلىٰ النبي ﷺ"[1].

وفي هذه الآيات من السورة محاجة أهل الكتاب، حيث فتح باب الحوار معهم، وحين وصل الحوار إلىٰ طريق مسدود بشأن إسلامهم، وأبوا إلا البقاء علىٰ دينهم، أمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ بالمباهلة، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[2].

والسنة ذكرت أطراف الحوار المذكور في الآيات فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ:"جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا لا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلاً أَمِيناً وَلا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلا أَمِيناً، فَقَالَ ﷺ: لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلاً أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ"[3].

وعن جواز محاورة أهل الكتاب ومجادلتهم يعلق ابن حجر علىٰ حوار النبي ﷺ مع وفد نجران:"وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة"[4].

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ١، صـ٨٠ وما بعدها.

(٢) سورة آل عمران: ٥٩-٦١.

(٣) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب المغازي، بَابُ قِصَّةِ أَهْلِ نَجْرَانَ (ط. دار طوق النجاة، ط. أولىٰ، ١٤٢٢هـ) جـ٥، صـ١٧١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، (ط. دار الفكر، د. ت) جـ٨، صـ٩٥.

وجاء في السيرة النبوية:"فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، قالا: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما فأسلما، قالا: بلىٰ قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليبَ وأكلكما الخنزيرَ، قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما، فأنزل الله تعالىٰ في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلىٰ بضع وثمانين آية"[١].

ويعلق الإمام الطبري علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾[٢] بقوله:

"فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد ﷺ وبين الوفد من نصارىٰ نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل أمره إن هم تولوا عما دعاهم إليه من الإقرار بوحدانية الله وأنه لا ولد له ولا صاحبة، وأن عيسىٰ عبده ورسوله وأبوا إلا الجدل والخصومة أن يدعوهم إلىٰ الملاعنة، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلما فعل ذلك رسول الله ﷺ انخذلوا فامتنعوا من الملاعنة ودعوا إلىٰ المصالحة"[٣] عند ذلك أقروا بالجزية للمسلمين، فأحسن المسلمون إليهم وحفظوا لهم العهود التي أعطاهم النبي ﷺ حين وفدوا عليه بالمدينة"[٤].

وفي حوار النبي ﷺ يظهر الأدب النبوي الجميل في حلمه مع المجادلين، رغم أنهم كانوا في مدينته ولم يمسَّهم بأذىٰ، بل أكرم وفادتهم وجادلهم بالحسنىٰ كما أمره ربه، وكان حريصـًا علىٰ إظهار الحق ليقيم عليهم الحجة، وانتهىٰ الحوار معهم بإقرارهم بالحق مع إعراضهم عنه، إذ لو صدقوا لباهلوا ولكنهم جبنوا عن المباهلة

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية: جـ ١، صـ ٤١٦.

(٢) سورة آل عمران: آية ٦٢.

(٣) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط. عالم الكتب، الرياض ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.) جـ ٥، صـ ٤٦٨ - ٤٦٩،

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ٢، صـ٤٨٠ وما بعدها.

لعلمهم أنه نبي، وذلك كما فعل آل فرعون مع آيات موسىٰ عليه السلام ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1].

ونتعلم من هذا الحوار أن علىٰ المحاور المسلم أن يبذل أقصىٰ جهده مخلصًا لله تعالىٰ، وضرورة الرجوع بالحوار العقدي ـ وغيره ـ إلىٰ سابق عهده فهمًا سليمًا، والتزامًا واعيًا، ودعوةً حكيمةً، لتكون الأُمَّة بفهم أدب أقرب إلىٰ مراد الله تعالىٰ منها، وأكثرها شبهًا بالنموذج الأمثل، نموذج الرعيل الأول بقيادة أسوة المؤمنين وإمام المرسلين ﷺ، فإنَّ الحوار في العقائد بالذات أحوج ما يكون لهذا اللين والأناة والحلم بهذا الاعتبار، كيف لا؟! والتسامح واللين والتلطف أساس العقيدة ـ محل الحوار ـ التي يسعىٰ المحاور لدعوة المخالف إليها، وقاعدته الصلبة، وروحها السارية فيها، وأعمق خصائصها المميزة لها.

هـذه حقائق وآداب ينبغي أن نستفيد منها ونتنبه إليها في حوارنا مع غير المسلمين، ومشكلتنا في الحوار العقدي الآن أننا تحولنا من مهمة الدعوة إلىٰ مهمة الدفاع عن الاتهامات التي يكيلها لنا أهل الضلال والزيغ، وهو خطأ ينبغي تجاوزه.

ونحن نرغب إلىٰ من يمارس الحوار العقدي اليوم أن يتأدب بأدب القرآن وأدب النبي ﷺ في ذلك، وأيا كانت النتائج بالسلب أو بالإيجاب، فالله وحده يهدي من يشاء، وليكن الهم الأول في الحوار هو إظهار الحقائق ودمغ الشبهات دون خفض للجناح لباطل أظهره مجادلو أهل الكفر في مثل تلك الحوارات، وهكذا كان"نهج احتواء المخالف واللين معه سلوكًا نبويًا لم يزل ملازمًا للنبي ﷺ في أصعب المواقف وأكثرها إثارة للغضب من قبل مخالفيه"[2]، والحوار العقدي عمل من الأعمال، والأعمال بالنيات، فلا بدّ له من نية خالصة لله تعالىٰ تتجه نحو غاية

---

(١) سورة النمل: آية ١٤.

(٢) رقية طه جابر العلواني، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، (نشر مؤسسة جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، المدينة المنورة ط. أولىٰ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م) صـ٦٠.

واحدة وهي إحقاق الحق وإظهاره، إذ"ينبغي علىٰ المسلم ألاّ يدخل في حوار ما إذا لم يكن متأكداً من أن نيته لله عز وجل، فليس المقصود من الحوار أن يظهر المحاور براعته وثقافته أو أن يتفوق علىٰ الآخرين"[1] فالمراد الأول من الحوار إظهار الحق بوضوح وصدق ودون دس أو إبهام، فقد يحسن من المتكلّم أحياناً ترك البيان والإفصاح عن مراده بعبارة واضحة،"بل يدخل في التعمية علىٰ المخاطب إذا كان في ذلك مصلحة راجحة، فيتكلّم بالمجمل ليجعل لنفسه سبيلاً إلىٰ تفسيره بما يتخلص به، أو ليوهم السامع أنه أراد ما يخاف إفهامه إيّاه"[2].

والشاهد أن الحوار بالحسنىٰ أدب قرآني أُمر به المرسلون علىٰ مر التاريخ، وحين أرسل الله تعالىٰ موسىٰ وهارون إلىٰ فرعون الذي بلغ المدىٰ في كفره فزعم أنه إله، قال تعالىٰ لهما ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[3]، هذا مع علم الله تعالىٰ المسبق أن فرعون لن يؤمن، وسيبقىٰ علىٰ كفره حتىٰ الغرق ولكنه مع ذلك أمرهما بما أمر ليكون ذلك نبراساً وأدباً ومنهاجاً مستمراً للدعاة إلىٰ يوم القيامة، وإذا لم ينجح هذا الأدب مع فرعون، فلعله ينجح مع غيره فيتذكر أو يخشىٰ.

وقد حاور النبي ﷺ اليهود مراراً وتكراراً، فما سبّ أحداً منهم ولا تنقّصه بل كان علىٰ الدوام يحاورهم بالحسنىٰ ويُظهر احترام محاوريه ورغبته الشديدة في هدايتهم إلىٰ الحق، حتىٰ حين كانوا يشتدون في القول وينشرون الأكاذيب كعادتهم كان يقابلهم بالحسنىٰ ويفضح أكاذيبهم، ومن ذلك سؤاله لهم في غزوة خيبر عن أهل النار، قَالَ:"فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيراً ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللهِ لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا

---

(١) تيسير محجوب الفتياني، الحوار في السنة (منشورات مركز الكتاب الأكاديمي عمان، الأردن ١٩٩٩م) صـ١٣.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، تحقيق علي دخيل الله، (ط. دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط. أولىٰ، ١٤٠٨هـ) جـ٢، صـ٥٠٦.

(٣) سورة طه:٤٢.

أَبَداً.."[1].

والحوار العقدي يستدعي السير علىٰ نهج القرآن بالتركيز علىٰ الآثار العملية للإيمان وأركانه الستة، وبيان ثمار ذلك في الحياة الدنيا، سواء أكانت ثمارا مادية من توفير الأمن في الأوطان، والسعة في الأرزاق، والصحة في الأبدان، والقوة بمعانيها المتنوعة ونحو ذلك، أم ثمارا معنوية كالصحة النفسية، والطمأنينة القلبية، والسعادة الروحية ونحو ذلك مما تفتقده المجتمعات الإلحادية أو المادية.

كما يستدعي الحوار العقدي المعاصر مراعاة العصر الذي نعيش فيه، واهتمامات أفراده، والقضايا الساخنة المطروحة في الساحة، وهو ما يسمىٰ بواجب الوقت، أو فقه الأولويات، وأن نتحكم نحن في إدارة الصراع الفكري والعقدي دون أن نُجر أو ننجر للدخول في قضايا لا تخدم أهدافنا الأساسية، ولا تتماشىٰ مع خطتنا المنهجية، مع ضرورة مراعاة لغة العصر الذي نعيشه، فعصرنا كما يقال عصر العلم، ومنه علوم الفضاء وسائر العلوم التطبيقية علىٰ مختلف ألوانها وأبعادها، وهو عصر غلبت عليه النزعة الإنسانية، وقيم المذاهب الوضعية كالنفعية [2] والذرائعية [3]، ونحو ذلك، فينبغي أن نراعي ذلك في حوارنا العقدي، وإلا أصحبت الهوة واسعة بيننا وبين قومنا، وبيننا وبين الناس أجمعين، مع الحرص والحذر في استخدام المصطلحات المعاصرة أثناء تحميلها المعاني الشرعية، ومعالجة قضية الإيمان من خلال قضايا مجتمعاتنا علىٰ مختلف مستوياتها وأنواعها، فهكذا كانت دعوات

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، بَابُ إِذَا غَدَرَ المُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، هَلْ يُعْفَىٰ عَنْهُمْ، جـ ٤، صـ ٩٩.

(٢) النفعية هي: نظرية وضعها ديفيد هيوم، تقول بأن الملكية الخاصة تقليد اتبعه الناس وينبغي عليهم أن يتبعوه لأن في ذلك منفعتهم".. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إصدار: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني (ط. دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، د.ت) جـ ٣، صـ ١٧٦.

(٣) الذرائعية هي: مذهب فلسفي اجتماعي يقول بأن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية: لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع. وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما: هو في كونها مفيدة للناس، وأن الفكر في طبيعته غائي، انظر المرجع السابق، جـ ١، صـ ١٥٧.

الرسل، والحذر من التغافل عن القضايا الملحة، والتحليق بالناس فيما لا يعنيهم من مشاكل اجتماعية لا يعيشونها ولا يعانونها، أو تضييع الأزمان وإتعاب الأذهان في معالجة افتراضيات لا وجود لها في الساحة، كما يلزم المحاور أن يستفيد من علوم العصر لا سيما القطعية منها في ترسيخ قضايا الإيمان في النفوس والبرهنة علىٰ عدم التعارض بين كلمات الله الشرعية وكلماته الكونية، وفي هذا الصدد ندعو إلىٰ التوسع في بيان الإعجاز القرآني في مجالات العلم التجريبي والظواهر الكونية والنفسية، وفي مجالات العلوم الاجتماعية ونحو ذلك من اهتمامات العصر، فالمعجزة تكون عادة فيما برع فيه القوم، وأقوامنا برعوا فيما تقدم ذكره، والقرآن لا تنقضي عجائبه، كما يلزم المحاور في العقائد أن يربط قضايا السلوك بالمعتقد، علىٰ أنها أثر من آثار الإيمان الصحيح، وقد تكون من لوازمه، فإغفال جانب التأسيس العقدي لكثير من الأمور العملية السلوكية كان سببا في هذا الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون، المتمثل في إقصاء شريعة الرب تعالىٰ عن كثير من مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، حتىٰ صار لديهم استعداد نفسي لتقبل الفلسفة العلمانية.



الخاتمة

حاول الباحث في هذه الدراسة سائلا الله تعالىٰ الإخلاص في القصد لله تعالىٰ، مؤمّلاً فيه تأصيلا قرآنيا للحوار مبرزا تسنمه لذروة البرهان والحجة مع روعة وجمال الأدب في ممارسته، ومن خلال هذه الدراسة وصل الباحث إلىٰ عدة نتائج وتوصيات يبرز لها فيما يأتي:

أولا: أهم النتائج:

١. عظمة الحوار القرآني وقوة حجته وصلاحيته منهجا يضمن للإنسانية حياة آمنة وتعايشا كريما يقوم علىٰ الوئام علىٰ أعلىٰ رتب المفهوم الإنساني، ومواكبة هذا الحوار لقضايا العصر وتحدياته.

٢.أن الحوار القرآني العقدي حوار هادف، لا يرجىٰ من ورائه سلطة ولا مال ولا جاه، فقاعدته الإخلاص وهدفه رضا الله وإعلاء كلمته وطلبة نشر توحيده وتصحيح عقائد المنحرفين ووجهات الضالين

٣.أن الحوار العقدي في القرآن يتسنم ذروة الأدب مقالا وأداءً وعرضا وطلبا ومحاجة وجدلا، فهو يسبق كل منهج أرضي وضعي في الحوار رسمته عقول الاجتماعيين والسياسيين والفلاسفة والمناطقة وأنساقهم وأدعياء الإصلاح والحداثة والفكر المعاصر.

٤. أن حوار غير المسلمين في القرآن الكريم يخاطب العقل والقلب والوجدان، فهو يتسم بالإقناع لكل المخالفين العقلانيين والماديين وأنساقهم.

ثانيا: أهم التوصيات:

١. ضرورة التصدىٰ للتيارات والمذاهب الوضعية المعاصرة وبيان عوارها، وكشف أساليبها، كل ذلك من خلال حوار عقدي يبدأ بالدعوة وبيان الحجة والبرهان علىٰ صدق عقيدة الإسلام.

٢.تأسيس مؤسسات حوارية متخصصة في فن الحوار والإقناع، مؤهلة لتحمل تبعاته علىٰ نسق ما تحمله الأنبياء والدعاة المصلحون، بعيدة عن الجدل العقيم

والمراء العليل السقيم.

٣. الإكثار من المؤتمرات والندوات العلمية التي تخاطب المتصدرين للحوار مع الآخر لتوضيح منهج الإسلام الحق في محاورة أهل الزيغ على أساس الحكمة والموعظة الحسنة.

هذا، وأسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا..

* * *

المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم.
٢ .ابـن تيميـة، أحمـد بـن عبـد الحليـم أبـو العبـاس: الـرد علىٰ المنطقيين (ط.دار المعرفة، بيروت ـ لبنان،د.ت).
٣.ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيـز بـن عبـد الله بـن بـاز ومحـب الـدين الخطيب، (ط. دار الفكر، د. ت).
٤ . ابـن العربـي؛ محمـد بـن عبـد الله الأندلسـي، أحكـام القـرآن، (ط. دار الكتـب العلمية، د.ت)
٥ . ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، زاد المعاد في هدي خيـر العبـاد،، (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م).
٦ . ابن القيم، محمـد بـن أبـي بكـر، الصـواعق المرسـلة علىٰ الجهمية والمعطلـة، تحقيـق علـي دخيـل الله، (ط. دار العاصـمة، الريـاض، السـعودية، ط. أولـىٰ، ١٤٠٨هـ).
٧ . ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسـان العـرب، مـادة حور (ط.دار صادر، بيروت، لبنان د، ت).
٨ . ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (ط مؤسسة الريان، لبنان د.ت)
٩ . ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: سهيل زكار، (ط. دار الفكر، بيروت، ط. أولىٰ ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م).
١٠ . أبو الحسـين أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا، معجـم مقـاييس اللغـة، مـادة حـور، تحقيـق: عبـد السـلام محمـد هـارون (ط دار الفكـر – بيـروت ١٤١٥هــ– ١٩٩٤م).
١١ . أبو زهرة، محمد: المعجزة الكبرىٰ، (ط. دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت).

١٢. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق:مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي (ط. دار ومكتبة الهلال، د. ت).
١٣. أبو عبد الله الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، معلقة عنترة بن شداد، (ط. مكتبة المعارف – بيروت ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م).
١٤. أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (ط. عالم الكتب – بيروت ـ لبنان – ١٤١٤هـ –١٩٩٤ م).
١٥. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بتحقيق: عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت).
١٦. أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، بتحقيق: د.محمود مطرجي، (ط. دار الفكر – بيروت ـ د.ت).
١٧. أحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، (ط.، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٨م).
١٨.الأصبهاني، إسماعيل بن محمد أبو القاسم: الحُجَّة في بيان المحجة، بتحقيق محمد ربيع بن هادي المدخلي، (ط. دار الراية، الرياض، السعودية، ط. أولىٰ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).
١٩. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط. دار طوق النجاة، ط. أولىٰ، ١٤٢٢هـ).
٢٠.البيهقي، أحمد بن الحسين، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف وأصحاب الحديث، بتحقيق: أحمد عصام الكاتب (ط.دار الآفاق الجديدة – بيروت، طبعة الأولىٰ، سنة ١٤٠١).
٢١.تيسير محجوب الفتياني، الحوار في السنة (منشورات مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن،١٩٩٩م).

٢٢. جابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط.خامسة١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
٢٣.الجزائري،جابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،.خامسة،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
٢٤. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (ط.دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط.أولىٰ، د.ت).
٢٥.حسن محمد وجيه: مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، ربيع الآخر١٤١٥هـ- أكتوبر ١٩٩٤م).
٢٦. رقية طه جابر العلواني، فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية، (نشر مؤسسة جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، المدينة المنورة ط. أولىٰ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
٢٧.زاهر بن عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، (ط. مطابع الفرزدق التجارية، السعودية، د.ت).
٢٨. الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان، (ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ت) .
٢٩.الزركشي، محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط. عيسىٰ البابي الحلبي، مصر، ط. ثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م).
٣٠.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، (ط. البابي الحلبي، القاهرة، ط. رابعة، ١٣٨٩هـ -١٩٧٨م).
٣١.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، (ط.دار الثقافة العربية للطباعة، بيروت، لبنان،

١٩٦٩م).
٣٢. فهد بن عبد الرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم (ط. مكتبة الحرمين، السعودية، ط.ثانية، ١٤٠٩هـ).
٣٣. اللالكائي، هبة الله بن الحسن أبو القاسم، شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بتحقيق أحمد سعد حمدان، (ط. دار طيبية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية).
٣٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، (تفسير الماوردىٰ) النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – د. ت).
٣٥.محسن بن محمد بن عبد الناظر، حوار الرسول ﷺ مع اليهود: (ط. دار الدعوة، الكويت، ط. أولىٰ، سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م).
٣٦. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ط.دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ـ سنة ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥ م).
٣٧. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، (ط. دار المعارف، القاهرة، ط. سادسة، د.ت).
٣٨.محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط. عالم الكتب، الرياض ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.).
٣٩.محمد صادق عرجون، القرآن العظيم؛ هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، (مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).
٤٠.محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ).
٤١. محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، (ط. السعادة، مصر، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م).
٤٢.محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام،(ط.نهضة مصر، ط. أولىٰ، سنة

٢٠٠٥م).

٤٣ .محمد الغزالي، عقيدة المسلم، (ط.دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط.رابعة (١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م).

٤٤ .محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضىٰ الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ط. دار الهداية، د.ت).

٤٥ .محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، ط. أولىٰ – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).

٤٦ . محمود شيخون، من أسرار البلاغة، (ط. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ).

٤٧ .محمود محمد عمارة، من أجل حوار لا يفسد للود قضية، (ط. مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).

٤٨ . محي الدين صبحي: المسلمون والبرابرة ومعارك الحضارات، مقال بمجلة الاجتهاد السنة (بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).

٤٩ . مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت).

٥٠ .الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب النزول (ط. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، د.ت).

❊　　❊　　❊